سيبقى الضوء مشعا على منارة الأديب

بقلم الدكتور فوزي عطوي

★

لاول مرة ، منذ اربعين عاما ، تصدر « الاديب » من غير مكاتب «الاديب» !

فما كادت اسرة هذه المجلة التي حملت عن الامة العربية هموم ثقافتها وحضارتها تحتفل بالعيد الاربعين لصدورها ، حتى قهرتها ارادة المؤامرة الكبرى التي تحاك ضد لبنان ، على ان تجد نفسها ، بين ليلة وضحاها ، مهجرة من احب الرحاب اليها ، بعد ان تمادى القصف العشوائي من كل مكان ، على حدود التماس بين منطقتي بيروت الذبيح ، فكان نصيب مكتب منشئها ومنزله : قنابل وشظايا ورصاص قنص بالعشرات والمئات ، وكان نصيب مجموع الوثائق والرسائل الادبية الخاصة بمنشىء « الاديب » التعرض ليد التناثر والضياع .

واذا كانت الشدائد هي محك ارادة الرجال، فأشهد صادقا انني لم ار اصلب من البير اديب ارادة ، ولا اشد منه عودا ، ولا اصدق منه عزيمة علىمواصلة الكفاح ، من اي موقع الفى نفسه فيه ، وهو الذي لم ترهبه حراب السنغاليين ايام الانتداب ، ولا اضعفت نفسه مغريات المتسلطين على شعبه ، ولا فت في عضده ظلام السجون ، ولا اغرته بهارج الدنيا بكل المناصب والمراتب ، على سمو ما بلغه من المناصب والمراتب .

عندما هرعت بمعية معالي الصديق الاستاذ اكرم زعيتر الى منزل الاستاذة الجامعية ندى البير اديب ، في منطقة الحمراء ، لمعانقته وتهنئته والسيدة الفاضلة زوجته بنجاتهما من الموت المحقق الذي بقي يحوم حولهما طوال عشرة ايام ، وهما يعانيان ذروة ما يعانيه انسان يضطر للنوم ، جالسا على كرسي ، في زاوية غير آمنة من زوايا المنزل ، ويكتفي من الغذاء بكسر من « التوست » بعد ان سدت في وجهه كل سبل الامن والحصول على الطعام ، اقبل علينا البير اديب اقباله على ابن حبيب له ، وقال وهو يختنق في عينيه دموع كبريائه الجريح :

ـ اخيرا ! استطعت ان اراكم ! ولكن .. واحسرتاه، لقد ضاعت « الاديب » .. لقد ضاعت « الاديب » !

ولاول مرة في تاريخ علاقتي البنوية بهذا الانسان الكبير الذي يحمل على منكبيه هموم خمسة وسبعين عاما من عمره المديد ، اصرخ في وجهه ، وقد اجتاحني انفعال شديد :

ـ أتسأل عن « الاديب » ، وقد تهدم بيتك ، وكدت تفقد حياتك وحياة زوجتك وابنتك هدى وكدت تخسر اسرتك وكل احبائك ؟

فقال في هدوئه وحزنه وشفافية نفسه :

ـ لكن خسارتي تكون اعظم الخسارة ان فقدت اسرتي الكبرى ، على امتداد الوطن العربي الكبير ، وفي كل مكان على وجه الارض يلسن فيه انسان بلغة الضاد ، « فالاديب » بيتي و « الاديب » مكتبي ، وكتاب «الاديب» وقراؤها اسرتي ، فاذا ضاعت « الاديب » كان ذلك هو الضياع الاكبر !

وقلت له ، وقد استعدت بعض هدوئي :

ـ ان الذي استطاع ان يصدر « الاديب » ، وان يعنى بكل صغيرة وكبيرة من شؤونها ، وان يحفظ لها مستوى فكريا رفيعا طوال اربعين عاما من الزمان ، لايعجز عن استئناف المسيرة ، رغم الظرف القاسي الذي تمر به والذي لا يستطيع احد ، مهما تكن عاطفته ، ان يخفف عنك بعض غلوائه او ان يشاطرك بعض معاناته !

وقال البير اديب : « وهذا ، بالتحديد ، ما عقدت العزم عليه » . وقد صح عزم الرجل ، وها هو العدد الجديد الذي اجيز لنفسي بتسميته « العدد الاول » ، بعد التجربة القاسية التي اودت بكل ما يملكه البير اديب من منزل ومكتب ، ولكنها عجزت عن المساس بشموخه ، وصلابته ، وكرامة نفسه .

اما وهذه هي الخطوط العريضة التي ترسم جوانب ضئيلة من التجربة ـ المأساة التي تمر بها « الاديب » منشئا، واسرة، ومجلة صامدة صابرة مصرة علىالاستمرار لئلا يقال ان المدافع استطاعت ان تخرس الاقلام في لبنان، ولئلا يقال ان الكلمة لم تقو على المضي في تحدي ارادة البنادق ، فقد بقي ان نشرك في همنا جميع الاصدقاء والاحباء المعنيين « بالاديب » والحريصين مثلنا على مواصلة مسيرتها الثقافية الحرة ، في وقت يثور التساؤل فيه عن مدى خطورة الازمة الثقافية في دنيا العرب .

ان كتاب « الاديب » ، وشعراءها ، وقراءها ، ومشتركيها من افراد ومؤسسات ، مدعوون جميعا ، وبكل صراحة وصدق ومن دون ادنى مواربة او تعمية ، الى ابداء الراي فضلا عن اسداء المعونة ، في الاسلوب الشريف

الكفيل بالابقاء على مجلة « الاديب » منبرا ثقافيا حرا، غير مرتهن لجهة سياسية، وغير مرتبط بالتزامات عقائدية، عدا الالتزام الحر بكل المعاني السامية التي يمليها ايماننا بالاديان السماوية السمحاء ، وبالاخلاق الكريمة التي ارسى الرسول العربي الكريم ، صلوات الله عليه ، كل مدلولاتها وقيمها عندما اكد للناس ان بعثته اليهم كانت من اجل اتمام مكارم الاخلاق .

و « الاديب » تعرف انها تقف اليوم ، وفي ظروف بالغة الصعوبة ، وقفة غير متكافئة في سوق المنافسة التجارية مع معظم المجلات الثقافية ، وعلى الخصوص تلك المجلات التي يقل ثمن بيع العدد الواحد منها عن سعر الكلفة لانها مدعمة من وزارات ومؤسسات حكومية قادرة على الانفاق عن سعة ، وعلى تحمل الخسارة المادية بهدف الاسهام في النهضة الثقافية المعاصرة .

وتعرف « الاديب » ايضا ان المنافسة غير المتكافئة لا تقتصر على ناحية الدعم المادي الحكومي ، بل تتعداه الى الموارد المشروعة التي تقوم عليها كل مجلة ، ورغم ان امتياز اصدار مجلة « الاديب » هو امتياز سياسي وثقافي معا ، الامر الذي كان يكفل لها عددا ضخما من الاعلانات التجارية لو ان موادها تعنى بالشأن السياسي ، فان البير اديب ، انسجاما منه مع الرسالة الثقافية التي اخذ على نفسه عهد النهوض بها ، منذ ان كان فتى في عمر الاماليد يراسل الصحف من السودان والقاهرة وبيروت ، الى ان اصدر مجلته الرائدة ، لم يرض « للاديب » ان تنحرف عن المسار الثقافي ، بعد ان كان من امر السياسة في دنيانا العربية ما كان ، وهذا ما يفسر اقتصار مواردها الاعلانية على اعلان واحد ، او على اعلانين في احسن الاحوال .

لكن « الاديب » تعرف انها ، في مجال المنافسة الادبية ، تحرز قصب السباق ، لا انتقاصا من الزميلات العربيات على امتداد الدنيا العربية ، وانما اعتزازا بصداقاتها الادبية التي كفلت لها استقطاب غالبية الاقلام المعاصرة التي لم يحجب ثمراتها الطيبة عن « الاديب » كل الاغراءات المادية التي تقدمها وسائل الاعلام الاخرى ، رغم ان « الاديب » لا تدفع ، ولا تستطيع ان تدفع مكافآت ولو رمزية عن ثمرات اقلام كتابها وشعرائها . واني لعلى يقين ، وبما اعرفه من غيرة البير اديب وحماسته لحملة الاقلام ، بأن « الاديب » كانت وستظل تطمح الى يوم تستطيع فيه ان تسهم في تأمين المستوى المادي اللائق للمفكرين الذين امنوا للادب المعاصر مستواه اللائق .

ولعلي اسيغ لنفسي ان ادلي بدلوي ، فيما ارتقب من اسهامات الزملاء والاصدقاء الغيارى على « الاديب » فأتصور ان الاقتراح الذي كنت كتبته منذ عشر سنوات في جريدة « الحياة » اللبنانية (ونقلته الاديب في حينه) ودعوت فيه الى تحويل مجلة « الاديب » من اطار الجهد الفردي الى اطار العمل المؤسسي ، ما يزال في نظري هو



الاقتراح الاكثر ملاءمة ، وفي الظروف الحاضرة على وجه الخصوص .

واذا قبل البير اديب بهذا الاقتراح ، يكون قد احتفظ بحقوقه المادية في امتياز « الاديب » (وهو كما قدمنا امتياز سياسي ثقافي) وهذا اقل ما يستحقه موظف من مرتبات تقاعدية عندما يبلغ الثالثة والستين من عمره ، فكيف بالبير اديب الشاعر والكاتب والوطني المكافح الذي لا يعترف بعمر تقاعدي ، رغم ما يعتري بصره من ضعف، وما يتحمله باستمرار من خسائر مادية فادحة اضطرته ذات يوم ، الى بيع مكتبته الثمينة من ادارة الجامعة الاميركية في بيروت ، لاقالة عثرة مجلة « الاديب » .

لكنه ، بالمقابل ، يكون قد خفف من مرهقات العمل اليومي المضني ، واكتفى بالاشراف العام على المجلة ، وخفف بالتالي من مرهقات التكاليف الطباعية الباهظة التي تركض صعودا ، اذ يشاركه في تحمل هذه التكاليف من يقبل على المساهمة في المسؤولية المؤسسية المشتركة، وان كنت اعرف سلفا ان البير اديب لن يستطيع الاكتفاء بالاشراف العام ، حرصا منه على فعالية العمل الفردي ، لانه يردد امامي على الدوام قول احد علماء الادارة ، على سبيل التظرف : « ان افضل اللجان هي اللجنة المكونة من شخص واحد » !

ولعلي اتصور — على رغم صعوبة التحقيق — امكانية التدعيم الرسمي اللبناني لهذه المجلة ، من غير ان يحول ذلك دون تدعيم سائر المجلات الثقافية الاخرى ، لكن الظروف اللبنانية الراهنة تجعلني اتصور ، بواقعية اكثر ، امكانية التدعيم الرسمي العربي لمجلة « الاديب » التي لم يعرف المفكرون العرب سفيرة انصع منها وجها او انظف منها يدا ، او اصفى منها فؤادا ، لتمتين الاواصر فيما بينهم ، وتوثيق عرى التعاون فيما بين اقطارهم .

ولعلي اتصور ايضا ، امكانية زيادة الاقبال على الاشتراك في المجلة ، والاعلان فيها ، ومناصرتها المادية والمعنوية ، وايصال صوتها الى كل قارىء عربي ، فالميزانية الشهرية او السنوية التي يطلب رصدها لشراء «الاديب»

أهكذا ؟



اهكذا يا حبها ترحل ؟ ... تتركني وحدي ولا تحفل
تغادر الجرح على نزفه ؟ ... بقسوة تمشي ولا تسأل
تمر قربي دونما لفتة ؟ ... ونار وجدي لم تزل تشعل
يا حسرة الماضي ، وازهاره ... في جنة الاحلام هل تذبل
اعوامنا مرت بآمالنا ... نبني قصورا حسنها منهل
اهكذا في لحظة تنطوي ... كل حكاياتنا ولا تخجل
نجومنا كم نورت افقنا ... اهكذا نجومنا تافل
آمالنا كانت كاعمارنا ... اهكذا الآمال تستاهل
يا حبها يا عالما خالدا ... اجواؤه الاجمل فالاجمل
زرعت في روحي رياض الهوى ... جذورها في اعظمي توغل
فجرت في عمقي عيون المنى ... ينساب منها جدول جدول
ما كان في الحسبان يا واحتي ... ان تتركيني من دمي انهل
ما كان في ظني ان تقربي ... مني كاني عابر مهمل
ان كان هذا منتهى حبنا ... فلتسقط الدنيا وما تحمل

الجفر ـ السعودية

علي دمر

لا تتجاوز على الاطلاق ثمن كيلو واحد من التفاح ، في الشهر الواحد !

هل اردد هنا ما كنت اؤكد عليه ، على الدوام ، فاذكر بأن هذه الامة لا تستطيع الى النهوض سبيلا ، ما لم يرصد افرادها في ميزانيتهم للكتب والمجلات الفكرية مثل ما يرصدونه للطعام والشراب ، وما لم تصبح في كل بيت مكتبة لا تقل اهمية عن مطبخه ؟!

وبعد ، فان البير اديب ، وقد خسر كل شيء سوى قلمه وكرامته ، مصر على مواصلة القتال من اجل بقاء « الاديب » ، سفارة للعرب ، ومنتدى لفكرهم ، وواحة لشعرهم ، ومرآة لنهضتهم وحضارتهم .

فهل نقاتل مع البير اديب ؟

ام نتخلى عنه ، ونحن في اشد الحاجة الى ابقاء الضوء مشعا على منارته ؟

اما نحن ، اسرة « الاديب » فقد قررنا ان نقاتل مع البير اديب حتى النهاية !

لقد قررنا لمجلة « الاديب » ان تبقى منارة للفكر والعرفان !

فوزي عطوي



الدكتور محمد رجب البيومي

شذور عن ابراهيم بن أدهم

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي
عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة

* * *

حبب الي ان اكتب عن ابراهيم بن ادهم معنى قوي في حياته ، اذ ان هذا المتصوف الذائع الاسم القوي الهيبة ، لم يكن يفهم من التصوف غير ما يفهم المؤمن الباسل المكافح ، فهو ان اعتزل النعمة والامارة زهدا عن مغريات الابهة والنعيم ، فلم يعتزل الكفاح اللاغب في ميدانه الاحمر الرهيب ، اذ راى ان يكون جنديا غازيا في سبيل الله ، وقد جاءت شهادته في معركة الجهاد دليلا على ان التصوف الحق هو التصوف الايجابي الذي يقتحم اللجج ، ويخوض الغمرات دفاعا عن المبدأ ، ونصرة للحق وليس هو النصوف الانسحابي الذي يرى الانزواء والتواكل سبيل الولاية والانجذاب فذلك ما يبرأ منه من اشربوا روح اسلام وادركوا الخالص الاصيل من لبابه الصادق !

وها اننا ابسط الحديث عنه مجاهدا مكافحا ، وعاملا اجيرا ، وشهيدا مطهرا من هؤلاء الذين يستبشرون بنعمة من الله وفضل اذ صاروا احياء عند ربهم يرزقون.

روت كتب المتصوفة عن ابراهيم بن ادهم اسطورة جذابة ، فقد جعلته اميرا من اعرق بيوت الملك بفارس تحيط به ابهة السلطان وجلال التاج ، ويسير في موكب فخم وحوله الفرسان والحراس ، وقد اشتغل بمباهجه وملاهيه عن شؤون الملك ومشاغله ، فما تفقد كتيبة زاحفة وما اسكن ثورة هائجة ، بل كان يتقلد سيفه ويهيىء اقواسه ونباله ويركب جياده السريعة ، ثم يتوغل في البيداء الشاسعة ، ليصارع الآرام والوعول ويتعقب الثعالب والوحوش ، فاذا اتعبه الصيد واضناه الكر والهجوم ، نصبت له خيمة مطرزة ، وتجمع حوله اصدقاؤه وندمانه ، فسمعوا اعذب الالحان ورقصت امامهم القيان حتى اذا قضوا اربا من الراحة والمتعة رجعوا الى « بلخ » في موكب حاشد وجمع عظيم .

وشاءت الاسطورة ان تقول انه خرج يوم جمعة الى الصيد ، وحوله حاشيته في يوم مجموع له الناس ، وكان مؤذن الجمعة ينادي الى الصلاة ، فما اهتم بفريضة ربه ومضى الى ملاعبه يترنح فوق جواده ، والناس يتهامسون في غضب عن هذا الخليع الماجن الذي يجيب داعي الشيطان في وقت تتفتح فيه ابواب الرحمة في السماء ، ويمضي الفارس الى صيده فيصرع الظباء ويتوغل في الغابات متحرشا بوعوله ويعافيره ، حتى اذا بلغ منه الجهد مبلغه ركن الى صخرة عالية فجلس يستريح منفردا عن اصحابه، واذا هاتف يملأ عليه سمعه ويناديه : « يا ابراهيم ما لهذا خلقت . يا ابراهيم ما بهذا امرت ... افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون » ثم ينقطع الهتاف وقد تغلغل صداه في اعماق الامير الفارس فغير مجرى حياته تغييرا حاسما ، وحول افكاره من طريق الى طريق، فرجع الى حاشيته منكسرا ذليلا ، وودع رفاقه توديعا حارا ، وهام على وجهه يضرب في فجاج الارض وتتقاذفه المطارح النائية ، ووجد راعيا للغنم فخلع عليه حلته الجميلة وقد رصعت بخالص الذهب ، وزينت بأنضر اليواقيت ، واخذ منه كساءه الصوفي الخشن ، وعصاه الخشبية الطويلة ومضى يطوف بالارض زاهدا متورعا ، فحج البيت الحرام ، وطوف بالعراق والشام ، والقى مواعظه الدينية المؤثرة ، وصحب الائمة من الفقهاء والعلماء حتى وافاه الاجل وقد بلغ من الورع والتصوف والمحبة مبلغا يضعه في قمة الزهاد وذروة الناسكين .

تقول كتب المتصوفة هذه الاسطورة ، وينلقها كاتب عن كاتب مضيفا اليها ما يسمح به خياله من تهاويل ، وقد يستعين بأبيات شعرية يزعم ان ابراهيم قراها على جدار او قبر او نظمها في سكرة هيام ، ويجيء المستشرقون فيبحثون هذه الاسطورة ويتساءلون ، هل كان لعائلة ادهم سلطان في امارة بلخ ؟ وهل عرف تاريخ الفرس احدا من ملوك هذه العائلة سواء « ببلخ » ام غيرها من المقاطعات .

فاذا صمت التاريخ عن الاجابة الشافية حكموا ان

هذه الاسطورة قد صيغت على منوال قصة « بوذا » اذ فر من سلطانه وترك الامارة والقصر لينشر مذهبا ويملأ قلوبا، ثم يتوسعون في ذلك فيعقدون صلة وثيقة بين التصوف الاسلامي والتصوف الهندي، ويردون كل زهد في الاسلام الى عناصر اجنبية طرات عليه واثرت فيه دون ان يكون منبعها الاصيل كتاب الله وتعاليم محمد صلى الله عليه وسلم .

ويمضون في طريقتهم الى ابعد مدى فيقرنون الشبيه بالشبيه، ويلائمون بين تنسك « بوذا » الهندي وعزلة ابراهيم الفارسي .

ولئن ثبت للباحث في تاريخ المتصوفين تأثر بعضهم بمذاهب صوفية لا تنبع من الاسلام ولا تتصل بأسبابه في شيء فان هذا البعض لا ينتمي اليه ابن ادهم في قليل او كثير ، فقد كان بعيدا عن احوال الجذب والتواجد والهيام ، ولم يتطرق الى البحوث النظرية كما فعل الحلاج والسهروردي وابن عربي بل كان تصوفه زهدا خالصا يترسم فيه مبادىء الاسلام ، فهو يتمسك بالنصوص القرآنية ويروي الاحاديث النبوية ، ويصدر تعاليمه لمريديه في نطاق قرآني تدعو اليه الفطرة الاسلامية وتتقبله العقول في غير عناء كبير .

اما نشأة ابراهيم فيمكننا بمراجعة الروايات المختلفة في تاريخه وترجيح ما تقوم عليه الادلة الوثيقة ان نجزم بأنه عربي قح ، نشأ في سلالة عربية خالصة ، فحين زحفت الجيوش الاسلامية في فتر متعاقبة الى خراسان وتم فتحها على يد الاحنف بن قيس ، وقتيبة بن مسلم الباهلي ، اخذت الاسر العربية تنزح الى هذا الاقليم الخصيب ، وتنتشر بذراريها في بلاد ما وراء النهر ، ومن هذه الاسر الكثيرة اسرة الصوفي الزاهد ابراهيم بن ادهم بن منظور بن زيد بن جابر التميمي العجلي ، فقد نزح اجداده الى بلخ في وقت يتعذر تحديده ووجدوا من رخاء العيش ما مكن لهم في الثروة فرزقوا نصيبا موفورا من المال ، ونشأ ابناؤهم نشأة مترفة ناعمة فوجدوا القصور والضياع والعبيد ، وغمروا انفسهم بالمتاع والبهجة ، وكان والد ابراهيم رغم ثرائه الواسع صالحا خيرا يتبع العباد والزهاد ويحج البيت الحرام في اكثر الاعوام ، وقد اورث فتاه ابراهيم مالا طائلا وجاها مديدا فترعرع في افياء النعيم ، وصحب مطارف البهجة في شبابه ، ثم اذن الله له بالفوز فطاف عليه طائف من تنسك والده وتقواه ، ثم اتسع في زهده شيئا فشيئا حتى تيقن ان المال ظل زائل ومشغلة للنفس ، فعزف عن بريقه الخادع ، واحتقر ما يغرق فيه من متعة وجاه ، ثم تجرد عن الزينة والزخرف بعد ان فكر ودبر ، واستأذن اباه في الرحيل عن خراسان الى العراق ، وكانت اشواقه تدفعه الى مكة مهبط الرسالة فترك العراق الى ام القرى ووجد بها كثيرا من ائمة الفقه والحديث والتصوف ، فاصطحب الفضيل بن عياض وسفيان الثوري ومالك بن دينار وغيرهم ممن لقيهم في رحلاته الكثيرة حتى امتلأت نفسه اطمئنانا وسكينة ، وافعم قلبه نورا وعرفانا .

ولم يكن ابراهيم بدعا في تنسكه ، فقد كان معاصره شقيق البلخي ذا دنيا واسعة وجاه عريض ، فاعتزل الثروة والضياع وتكلم في التصوف والزهد وكان احدهما اقتدى بصاحبه ، وهما من بلدة واحدة ، فسار على منواله مما يعز وجوده بين ارباب الثراء .

ولقد كان لابراهيم رسالة خالدة تكشف حقيقة الزهد وتقربه مثالا ملموسا للجميع ، فقد زهد زهدا خالصا فيما يملك ، ولم يكن كهؤلاء الذين يتظاهرون بالورع ولو برقت لهم الحياة بشعاع كاذب لاندفعوا في تيارها الخادع .

وقد كان من تمام رسالته ان يأكل من عمل يده ، فلا يدع نفسه عالة على عشاقه ومريديه ، وقد اشتغل بستانيا اجيرا يكدح يومه الطويل ليقتات من طريق حميد، وهنا يظهر تأثره بتعاليم الاسلام ، فهو دين عملي ينبذ التواكل ، وليست فيه رهبنة تدفع صاحبها الى العزوف والانطواء لذلك نجد ابن ادهم يتشدد في تحري المكاسب والمآكل ويرسل وصاياه الكثيرة فيقول : « اطب مطعمك ولا عليك الا تقوم الليل او تصوم النهار » ، كما كان يرفض رفضا باتا اية هدية تقدم اليه لما يندرج تحتها من معاني التواكل والخنوع ، ولو فهم الناس الزهد كما فهمه ابراهيم لعطف الغني على الفقير بما يزيد عن حاجته ، ولاجتهد الفقير في تحصيل رزقه دون أن يمد يده لانسان، وبذلك يستشعر معاني العزة والكرامة ويعيش في ملأ عالي الرأس مرتاح الضمير .

وقد تنبه الى ما انتشر لدى المتواكلين من انقطاع للعبادة وانتظار للعطاء ، فعد ذلك تسولا سافرا تنأى عنه الرجولة ويمقته الاسلام ، فقال : « المسألة مسألتان: مسألة على ابواب الناس ، ومسألة يقول الرجل فيها الزم المسجد وأصلي وأصوم وأعبد الله ، فمن جاءني بشيء قبلته ، فهذه شر المسألتين » ، وهذه النصيحة الحازمة تفضح هؤلاء المترهبين في دين لا يعرف الرهبنة ، فهم شر من المتسولين لانهم يسترون تسولهم البغيض بستار من التبتل والعبادة ، مع ان الاسلام يرى في سعي المؤمن لرزقه من طريق الحق عبادة خالصة يكافأ عليها بالمثوبة عند الله، ولن يضير المسلم ان يكون فقيرا كادحا ، وانما يضيره ان يتصيد المال دون جهد يبذل او سعي يتاح ، ونحن لا ندعو غنيا الى اعتزال ماله كما فعل ابن ادهم ، ولكننا نتخذه مثلا لقوة الارادة وكبت الاهواء وخذلان النفس في مضمار عنيف تتجاذبه المطامع والمغريات ، كما يصور لنا هوان المال وضعته لدى النفوس النبيلة ، فلا تتكالب عليه في عنف او تبخل بحق الله فيه ، ومن يدري لعل ابن ادهم قد تخلص من ثروته لوجود شبهة في عقله ، من طريقة

أوقدت روحي

عفوا ، انا ما خنت عهد حبائبي ... حتى تموت براحتيـــك رغائبي
اغريت افلاكي ببـــدر راقص ... في حقلك الزاهي برفـق ترائبي
كم ذا اداري البين منـك بادمـع ... حرى ، تذيب الثلج بـين ذوائبي
اشكو اليك الاين يرقص في النهى ... لما جعلت الحزن طي حقـائبي
اودعت نفسي في يديك ، ففقدتها ... للتيه في بيداء ذات نوائـــب
والصبح في عينيك ضم قصائدي ... وانا عيـوني غابـــة لشوائـب

* * *

اوقدت روحي في صراطك راضيا ... يا قاتلي .. بـل يا الذ مصائبي
خذ خافقي نغما لقلبـك ، انــه ... من دون همسـك هائم بخرائـب
فالنبض فيـه غدا يرتل آهـــة ... في عمرك اللاهي بعمري الذائـب
يا منتهاي ، وسدرة الخلد ، التي ... اسري لها ببـراق شوق لاهـب
ان كان زهــر عواطفي متوهجـا ... فالنار تلبسني كثـوب سائـــب
او تفتقـدني بالنـداء ، فانـني ... ارنو اليك ، ولست عنك بغائـب
لا غادر الاصباح وجهك في الورى ... يا ذابحـا نجمي وشـوق ركائبي

مراكش ـ المدينة ـ المغرب
ص.ب (٤٦١)
احمد بلحاج آيت وارهام

جمعه ، فحسم الشك باليقين .

ولم يطل مقام ابراهيم بمكة فارتحل ثانية الى العراق وقابل ابا جعفر المنصور ببغداد ووعظه في غلظة ، ثم توجه الى الشام واتخذها موطنا دائما ، ولكن لواعج الحنـين كانت تعصف به الى موطنه بخراسان ، فيسائل اصحابه عن بلخ ويرحب بمن يفد اليه مــن فارس ، وما زالت الاوطان مألف القلوب اذا شط المزار .

كانت اقامة ابن ادهم بالشام خيرا وبركة على اهل مدينة صور ، فقد خالطهم وصادقهم واندمج في مجتمعهم يشير بالراي ويقدم النصيحة وينبسط اليهم في شـؤون الحيا ة، حتى جن به العامة وعظموه تعظيما كبيرا ، ورووا عنه الكرامات الكثيرة ! وهي في كثرتها الزائـدة تدل على سمو قدره ، وارتفاع اوجه ، ونحن حين نروي احداهـا كنموذج مفرد لا نؤكد وقوعها الجازم ، بل نستدل بها على مكانة صاحبها في القلوب ومنزلته بين الناس .

حكى ابن عساكر عن بعض رواته قال : بينما انـا ببلخ اذا شيخ وقور حسن الطلعة جميل الهيئة اخذ منظره بقلبه فدعوته الى الطعام فأتى فقلت له من اين اقبلت قال: من وراء النهر ، قلت واين تريد ، قال الحج ، قلت أفي هذا الوقت ؟ وكان اول ايام ذي الحجة ، فقال : يفعل الله ما يشاء ! فقلت الصحبة ، فقال ان احببت فموعدك الليل ، فلما جاء الليل قدم الي وقال قم باسم الله، فأخذت ثياب سفري وقمنا نمشي كأنما الارض تجذب من تحتنا، ونحن نمر على البلدان ويقول هذه مدينة كذا ، وتلك مدينة كذا ، فاذا كان الصباح فارقني وقال موعدك الليل فاذا جاء الظلام عاد وفعل مثل ذلك حتى انتهيـنا الى مدينة الرسول ثم سرنا الى مكة فجئناها ليلا وقضينا الحج مع الناس !! ثم رجع الى الشام في امد يقصر عن مدة ذهابه! وانا اتعجب له .

هذا ـ وقد كان الاوزاعي امام اهل الشام يكبـــر ابراهيم ويشيد بلباقته ويعجب باندماجه في قومه وخبرته النفوس ودعوته الى الله بالحكمة والقدوة ، فهو المثـــل الحميد لصاحب الورع في الاسلام ، وقد كان حبه لله حبا اسلاميا خالصا يبرا مما اختلط بالتصوف بعد ذلك مـــن مذاهب فلسفية حلولية واتحادية ، فهو شبيه في زهـده وعبادته بالحسن البصري ورابعة العدوية واضرابهما ممن خلص لهم الزهد الاسلامي خلوصا طاهرا ، فطريقتهم الى الله كتابه الواضح وهدي نبيه الكريم .

وكان ختام حياته مقطعا رائعا لجهاده الكريم ، فقـد اغار الروم على بعض الثغور الاسلامية فحمل سيفهوارتحل الى الميدان ، ذائدا عن ممالك الاسلام ، وصمد للكفـاح حتى رزق الشهادة في معركة حامية سنة ١٦٠ هـ ، وحزن عليه المسلمون حزنا شديدا فحملوه الى (صور) ودفـن بموضع يختلف المؤرخون في تحديده ، وقـــد حكى ابن بطوطة انه زاره في مدينة (جبلة) وقد اقيمت حوله زاوية يعمرها الصالحون ، كما رثاه ابن اخته محمد بن كناسـة الكوفي رثاء حزينا يرسم شمائله ويبكي جلاله الصريع .

المنصورة ـ مصر
محمد رجب البيومي

زكي قنصل يبكي اخاه الياس

لم يغب ، رغم بعده ، عن عياني *** انه بين مقلتي وجناني
كيف انساه وهو بعض وجودي *** وانا بعضه ، فهل ينساني
لست ابكيه ، فهو عندي حي *** وسيبقى .. فكيف يبكيه فان
لم يزل بسمة على شفة الشعر *** وعطرا على فم الريحان
لم يزل صوته يرن باذني *** وصداه يجول في وجداني
لم يزل ظله يفيء دربي *** وشذاه يموج في ارداني
لم تزل كفه تلمس كفي *** اين في الناس مثلنا اخوان
لكانا لم نفترق ، وكانا *** لم نئد في التراب بيض الاماني
قد نشانا معا رفيقي طريق *** وجنينا ازكى وانكى المجاني
واقتسمنا حلاوة العيش حينا *** وعرفنا مرارة الحرمان
لم نغص في الحرير ، لكن رضينا *** بقليل من نعمة الرحمان
ليس من يسكن القصور سعيدا *** رب كوخ اعز من ايوان

* * *

ما اختلفنا في الراي الا حسمنا *** ترهات الخلاف بعد ثوان
كل ما بيننا مزاح بريء *** حين في الساح يلتقي البطلان
قاد في زحمة الحوادث خطوي *** وبجفنيه في الخطوب حماني
ان يطب للنفوس شدوي فمنه *** هذه الطيبات من الحاني
واذا استعذب الندامى شرابي *** فلاني اصطب مما سقاني
واذا صفقت لشعري قلوب *** فلاني اقتبست منه بياني
بتعاليمه اهتديت ، وماجت *** من معانيه في قريضي معان
ان يعبني على اعترافي دخيل *** قلت يا صاحبي رفعت مكاني
هب تجنى على اخيه هزار *** اي شان للبوم والغربان
جمعتنا الارحام قلبا وروحا *** ما اعتراه من الزمان اعتراني

* * *

خسىء الموت .. لن يكون سبيلا *** لفراق ما بين جفن وثان
اتحداك يا رزايا ، فثوري *** ان درعي صلابة الايمان
هاك صدري ، فامطريه نبالا *** لن تنال النبال من عنفواني
ما تعودت ان اعفر هذا *** الوجه الا للواحد الديان
سقط النسر من علاه ولكن *** سوف تبقى ذكراه ملء الزمان
سالتني محافل الشعر عنه *** فاحتبست الجواب في اجفاني
يعجز النطق ان يصور جرحي *** اين اين الكلام من احزاني
كيف انعى لها اخي وحبيبي *** ليته قبل نعيه قد نعاني

كيف انعى الى الريـاض شذاها ... كيـف انعي الهـزار للاغصـان
كيف انعى الى السمـاء الثريـا ... كيف انعي النـدى الى الاقحوان
كيف انعى الى القريـض فتـاه ... والى الفكـر تـوأم « الريحاني »

★ ★ ★

خـذلتني الدمـوع لكـن قلبي ... قـد بكـاه بكـل احمـر قـان
كم عيـون تبكي بغـير دمـوع ... وعيـون تبـكي بلا اشجـان
عفو ذكراك يا اخي ان تلجلجـت ... بقولي ، فقـد قطعت لسـاني
لفني الليـل بالدخـان ، فاني ... ينفـذ النـور من خلال الدخـان
كان ظـني ان الحيـاة ربيـع ... فيـه من كـل نعمـة زوجـان
فاذا بالريـاح تقصف اغصاني ... ويمشي الفنـاء في ريعـاني
كل الحـاني استحالت نشيجـا ... داو جرحي ببلسـم السلـوان
كـل الواني استحالـت سـوادا ... هـل يعـود البهـاء للالـوان
كل ازهـاري استحالت هشيما ... كيف عـاث الشتاء في بستـاني
كل انـواري استحالـت ظلامـا ... كيف جـاء الظـلام قبـل الاوان
سـوف يلقـاك في الخلود رفـاق ... سبقونـا . فصف لهم ما نعاني
مزقت شملنـا صروف الليـالي ... عبثـا يامـن النـوى تـوامـان
البـروج التي بنوهـا تهـاوت ... لم يـدم من بناتهـا فاعـلان
واللـواء الذي حمـوه طـواه ... غائـل من طـوارق الحدثـان
هان شان البيان بعد ازدهـار ... حين راجت بضاعة الهذيـان
وغزتنـا من كل حـدب وصوب ... ترهـات الافكـار والاوزان
كان للشعر دولـة ، ثم مالـت ... شمسهـا للغروب مـع جبـران

★ ★ ★

يا اخـا الروح قد تركت نـوادي ... القـوم ولهى منهـارة الاركـان
فقدت « قسهـا » فهل من بديـل ... كلما اقبلـت علـى مهرجـان
كنت تسقي النفـوس خمرا حلالا ... هي بنـت السماء لابنـت حـان
تعتلي منـبر الكـلام فتسري ... كهربـاء الحمـاس في الابـدان
نبرات كانهن هـدير الرعـد ... يـاتي بالعـارض الهتـان
واندفـاع في الذود عن حرمـات ... الحق يقـذي بصائـر الطغيـان
وهجـوم على الخيانـة يصمي ... سهمـه كـل مـارق خـوان
ومعـان تميس في حلـل الوحي ... وتختـال في بديـع المبـاني
تـارة كالعقـاب توغل في الجـو ... وطـورا تنسـاب كالكـروان
تسمـع الاذن من كلامـك سحرا ... وترى العـين ثـورة البركـان
سرت في الشعر تحت ظل «المعري» ... واخـذت البيـان عـن « لقمان »
لم تـثـر بالجديد لو لم يشـوه ... كـل مـا ينتمي الى عدنـان
ليس يعـلو بغـير سعي بنـاء ... احسـن الا ءاجـر ساع وبـان

★ ★ ★

فيـل زدنـا فقلـت اني لأخشى ... كبـو ةالفكـر او عـثار اللسـان
لم يكـن في الرجال ضخمـا ولكن ... كان بالـروح فـارس الفرسـان



كان طودا من الجهاد رفيعا ... وكتابا منهب العنوان
ضم في نفسه النقائض شتى ... ادب في قساوة في حنان
فهو بين الصحاب طفل بريء ... طاهر النفس من هوى وهوان
وهو بين الذئاب ليث جريء ... نابه في قراعهم نابان
لم يكن ليله لقصف ولهو ... كان سعيا لخدمة الاوطان
يعلم الله كم بكى لأساها ... وشكا وجده ، وكم ابكاني
وطنياته عصارة نفس ... انفت من عبادة الاوثان
الزعامات للزوال ، ويبقى ... الشعب حيا على مدار الزمان
لم يميز في حبه بين مصر ... وعراق وجلق وعمان
كل دار للضاد ، مهما تناءت ... داره ، او ملاذه الروحاني
كرس العمر للبراعة والحرف ... فادى رسالة العرفان
لا يلمه على العزوبة ناع ... هل تلاشت حرية الانسان
كتبه ولده ، سيخلد فيها ... انها حنطة بغير زؤان
انشد الشام الف بيت وبيت ... كل بيت اعز من نيشان
كم وَلودٍ من الرجال تمنى ... لو قضى عمره بلا ولدان

* * *

يا شقيقي ، وما ذكرتك الا ... ثار وجدي ، ودمدمت احزاني
حار بالموت والحياة ضميري ... فاغثني برايك النوراني

. . . .

. . . .

ايظل الضعيف عبدا ضعيفا ... ام يعود الرجاء للعبدان
انا في حيرة ، فيا رب عفوا ... نجني من خطيئة الكفران
هذه يا اخي قصيدة عمري ... من عيوني اعتصرتها وجناني
لن تراني اقول بعدك شعرا ... مرح الروح ضاحكا ، لن تراني
القوافي ماتت على زفراتي ... ايعود الجواد للميدان

* * *

يا رفاق الطريق هاضت جناحي ... غائلات الردى ، وهدت كياني
كل يوم يطوي التراب حبيبا ... طالما قد رعيته ورعاني
النوى والحمام عاثا بقلبي ... كيف انجو من حملة الطوفان
كلما نمت هاجماني باحلامي ... وان مجني الكرى هاجماني
ما تكاد الدموع تنشف من ... جفني حتى تعود للجريان
ملأ الخلد اصدقائي واحبابي ... فوا خجلتاه من ((رضوان))
يا رفاقي ان لم تداووا جراحي ... مت في غربتي وفي تحناني
اتاسى بكم ، فلا تتركوني ... انتم مفزعي ، وانتم سناني
لست ارجو الصديق في فرحة ... النصر ، ولكن في كربة الخذلان
قد خسرنا اخا عزيزا علينا ... وربحنا جيشا من الاخوان

بوانس ايرس ... زكي قنصل

الطريق إلى السعادة

«لبرتراند راسل»

ترجمة جرجس عبده

* * *

كانت العادة السائدة بين الاخلاقيين الجادين لاكثر من الفي سنة اعتبار السعادة من الامور المنحطة التي لا تستحق الاهتمام . فالرواقيون ظلوا لعدة قرون يهاجمون ابيقور الذي دعا في تعاليمه الى الحياة السعيدة . فقالوا ان فلسفته كانت فلسفة خنزيرية . واظهروا فضيلتهم السامية بافتراء الاكاذيب الشنيعة عليه . ومنهم كلينت الذي اراد اضطهاد اوسطارخوس لدفاعه عن النظام الكوبرنيخي الفلكي . ومنهم ماركس اوراليوس الذي اضطهد المسيحيين ، واشهرهم سينكا الذي ايد شناعات نيرون وجمع ثروة واسعة واقرض النقود لبوديشيا بفوائد باهظة اضطرتها الى التمرد .

ويكفي هذا عن القدماء . فاذا تخطينا الالفي سنة التالية نصل الى الاساتذة الالمان الذين ابتدعوا النظريات المنكوبة التي ادت الى سقوط المانيا ودفعت بقية العالم الى حالته الخطرة الراهنة ، وكل اولئك الرجال المثقفين قد ازدروا السعادة ، كما فعل مقلدهم كارليل الذي لم يمل من مطالبتنا بانه ينبغي ان نتجنب السعادة من اجل النعمة . وقد وجد النعمة في نواح غريبة ، كمذابح كرومويل في ايرلنده ، والتعطش الدموي الغادر لفردريك الاكبر ، وفظاعة الرئيس ايار في جامايكا .

والواقع ان احتقار السعادة هو في العادة احتقار لسعادة الاخرين من الناس ، وتنكر رشيق لكره النوع الانساني . وحتى عندما يضحي انسان تضحية صادقة بسعادته الخاصة من اجل شيء يظنه انبل ، فهو اقرب الى ان يظل حاسدا لاولئك الذين يتمتعون بدرجة اقل من النبل ، وهذا الحسد غالبا ما سيجعل اولئك الذين يظنون انفسهم قديسين قساة ومدمرين . واهم الامثلة في عصرنا الحاضر على هذه العقلية هم الشيوعيون .

واصحاب النظريات التي تدور حول ما ينبغي ان تكون عليه حياة الانسان يميلون الى تجاهل حدود الطبيعة . فاذا كانت طريقتك في الحياة تشتمل على دافع متوتر دائما نحو غرض سام حددته انت ، فالغالب ان هذا الغرض سيصبح كريها بسبب الجهود التي يتطلبها ، فالدافع الذي نتجاهل مخارجه السوية سيجد مسارب اخرى ، وربما على الرغم منه ، فاللذة التي حرمت نفسك منها تماما سوف تنفصل عن مجرى حياتك الرئيسي ، وستصبح مستهترة طائشة . ومثل هذه اللذة لا تجلب سعادة ، ولكن يأسا شديدا ليس الا .

ومن الامور الشائعة بين الاخلاقيين انك لا تستطيع الحصول على السعادة بسعيك اليها . ولا يصدق هذا الا اذا سعيت اليها بدون حكمة . فالمقامرون في مونت كارلو يسعون وراء المال ، ومعظمهم يفقدونه بدلا من الحصول عليه ، ولكن هناك طرقا اخرى للسعي وراء المال تنجح غالبا . وهكذا الشأن في السعادة . فاذا سعيت اليها بشرب الخمر فأنت تنسى الدوار . وقد سعى ابيقور اليها في مجتمع طبيعي واكتفى في غذائه بالخبز الجاف مصحوبا بقليل من الجبن في الاعياد . واثبتت طريقته نجاحها في حالته ، ولكنه كان ذا شجاعة فائقة ، ومعظم الناس يحتاجون الى شيء اقوى . فبالنسبة الى معظم الناس اذا لم يكن السعي الى السعادة مصحوبا باشياء اخرى فهي من الامور النظرية البالغة التجريد التي لاتصلح ان تكون قاعدة شخصية للحياة . ولكني اعتقد ان اي قاعدة شخصية في الحياة تختارها يجب ان لا تكون متناقضة مع السعادة ، الا في الحالات البطولية النادرة .

ويوجد الكثيرون جدا من الناس لديهم الظروف المادية للسعادة ، وهي الصحة والدخل الكافي ، وهم على العكس غير سعداء تماما . وهذا صحيح في امريكا بصفة خاصة . وفي هذه الحالات يبدو ان الغلطة لا بدان تكمن في اتباعهم لنظرية خاطئة عن كيفية المعيشة . ومن بعض النواحي يمكننا ان نقول ان اي نظرية عن كيفية الحياة خاطئة . فنحن نظن اننا اكثر اختلافا عن الحيوانات مما نحن عليه في الحقيقة .

فالحيوانات تعيش على الغريزة ، وهي سعيدة طالما كانت الظروف الخارجية ملائمة . فاذا كان عندك قطة فهي ستستمتع بالحياة اذا وجدت الطعام والدفء وفرص النوم على الوسائد في بعض الليالي . واحتياجاتك اكثر تعقيدا من احتياجات قطتك ، ولكن اسسها ما زالت في الغريزة . وفي المجتمعات المتحضرة وخصوصا المجتمعات التي تتكلم الانجليزية كثيرا ما تنسى هذه الحقيقة .

فالناس يضعون امامهم هدفا ضخما ثم يقمعون كل الدوافع الغريزية التي لا تخدم هذا الهدف . فرجل الاعمال قد يكون من شدة الاشتياق لتحقيق الثراء بحيث يضحي بصحته ومباهجه الخاصة . وعندما يصل الى الغنى في النهاية ، لا تبقى له لذة سوى ان يدفع غيره من

الناس بحثهم على الاقتداء بمثاله النبيل . والكثيرات من السيدات الثريات وان لم تمنحهن الطبيعة اي متعة ذاتية لتذوق الادب والفن يملن الى التظاهر بالثقافة ، وينفقن الساعات الطويلة المملة في تعلم انسب ما يمكن ان يتحدثن به عن الكتب الجديدة المألوفة . ولم يدر بخلدهن ان الكتب تؤلف لمنح البهجة لا لتصيد المناسبات للتظاهر العفن بحداثة النعمة .

واذا نظرت حولك الى الرجال والنساء الذين يمكن ان تسميهم سعداء ، فسترى انهم يشتركون جميعا في امور معينة . واهم هذه الامور نشاط يمكن الاستمتاع به لذاته في معظم الاحيان ، وهو بالاضافة الى ذلك يبني بالتدريج شيئا يسرك ان تراه يتحقق في المستقبل . فالنساء اللواتي يجدن لذة داخلية في العناية بابنائهن (والتي لا تجدها النساء المتعلمات خصوصا) يمكن ان يحصلن على هذا النوع من الرضا بتكوين اسرة . والفنانون والمؤلفون ورجال العلم يحققون السعادة بهذه الصورة اذا بدا لهم عملهم جيدا . ولكن هناك صورا متواضعة كثيرة من نفس هذا النوع من المتعة . فالكثير من الرجال الذين يقضون حياتهم العملية في المدينة يكرسون اجازاتهم الاسبوعية للدأب البريء الاختياري في تعهد حدائقهم ، وعندما يأتي الربيع يستمتعون بمسرات خلقهم للجمال .

ومن المستحيل تحقيق السعادة بدون نشاط ، ولكن من المستحيل ايضا تحقيق السعادة اذا كان النشاط مفرطا او من نوع منفر . فالنشاط يكون ملائما متى كان موجها بوضوح شديد الى غرض مرغوب فيه ولا يتعارض في ذاته مع الميل . فالكلب سيطارد الارانب الى حد الانهاك التام وسيكون سعيدا طوال هذا الوقت ، ولكنك اذا وضعته في طاحونة واعطيته غذاء جيدا بعد نصف ساعة ، فلن يكون سعيدا حتى يحصل على الغذاء ، لانه لم يكن مشغولا بنشاط طبيعي في هذه الاثناء .

ومن متاعب عصرنا ان المجتمع الحديث المعقد ليس فيه سوى قليل من الامور العملية الواجبة لها صفة الصيد الطبيعية . والنتيجة المترتبة على ذلك هي ان معظم الناس في جماعة ذات تقدم صناعي عليهم ان يبحثوا عن سعادتهم خارج العمل الذي يكسبون منه رزقهم . واذا كان عملهم مرهقا فستميل لذتهم الى ان تكون ذات طابع سلبي . ومشاهدة مباراة في كرة القدم او الذهاب الى السينما يترك القليل من الرضا بعد انتهائه ، ولا يشبع الدوافع الخلاقة ادنى اشباع . ورضا اللاعبين القائمين بالنشاط من نوع مختلف تماما .

والرغبة في الظفر باحترام الجيران والخوف من ازدرائهم يدفع الرجال والنساء (وخصوصا النساء) الى طرق من السلوك لا يحث اليها اي دافع تلقائي . والشخص الذي يكون دائما « مضبوطا » يكون في الغالب مملا . ومما يحز في النفس ان نشاهد الامهات يعلمن اطفالهن قمع فرحة حياتهم ليكونوا كالجراء الهادئة حتى لا يظن بهم الناس انهم ينتمون الى طبقة اجتماعية اقل مستوى مما يحب اهلهم ان يظهروا به .

والسعي الى النجاح الاجتماعي في صورة الجاه او القوة او كليهما هو اكبر عقبة امام السعادة في مجتمع متنافس . ولست انكر ان النجاح عنصر في السعادة — وعند بعضهم انه عنصر مهم جدا . ولكنه لا يكفي بذاته لارضاء معظم الناس واشباع ميولهم . فقد تكون غنيا ومحلا للاعجاب ، ولكنك اذا لم يكن لك اصدقاء ولا اهتمامات ولا متع ذاتية بعيدة عن المنفعة ، فستكون تعيسا . والحياة من اجل النجاح الاجتماعي هي نوع من الحياة طبقا لنظرية ، وكل حياة تسير على نظرية انما هي حياة جافة كالحة .

فاذا شاء رجل او امراة موفور الصحة ولديه ما يكفل له الغذاء ان يكون سعيدا ، فثمة حاجتان قد تبدوان للنظرة الاولى متضاربتين . فهناك اولا الحاجة الى اطار ثابت يدور حول غرض مركزي ، والشيء الثاني هو ما يمكن ان نسميه الحاجة الى « اللعب » ، او بعبارة اخرى الاشياء التي تؤدي من اجل المرح او اللهو ، لا التي تؤدي لخدمة غرض جدي . والاطار الثابت لا بد ان يكون مشتملا على دوافع ثابتة حسنة ، اي تلك التي ترتبط بالاسرة والعمل . فاذا اصبحت الاسرة مصدرا للكره ، او اصبح العمل مضايقا مزعجا بصورة مستمرة ، فلن يعودا مبعثا للسعادة ، ولكن من الافضل تحمل الاحساس العابر بالكره او المضايقة الوقتية متى كان الشعور بهما غير مستمر . وهما خليقان بان لا يكون الشعور بهما مستديما اذا امكن الاستفادة من الفرص الملائمة للعب .

وفي رايي ان موضوع السعادة كله قد عولج في شيء كثير من التهيب . فقد ظن الناس انهم لا يمكن ان يكونوا سعداء بغير نظرية في الحياة . وربما احتاج الذين اعترفوا بنقص سعادتهم لسيرهم وفقا لنظرية رديئة ، الى نظرية احسن تساعدهم على الرجوع الى الشقاء ، كما تحتاج بالضبط الى دواء مقو متى كنت مريضا . ولكن اذا سارت الامور سيرا طبيعيا سيكون الانسان سليما بدون مقو وسعيدا بدون نظرية .

والامور البسيطة هي التي تفيد حقا . فاذا كان رجل مغتبطا بزوجته وابنائه ، وناجحا في عمله ، وواجدا المتعة في تعاقب الليل والنهار ، والربيع والخريف ، فسيكون سعيدا مهما كانت فلسفته . ومن الناحية الاخرى اذا كان يجد زوجته كارهة وضجيج اولاده غير محتمل ، ومحل عمله كابوسا مطبقا ، واذا كان في اثناء النهار يحن الى الليل ، وفي الليل يئن توجعا وهو يتوق الى رؤية نور

وترٌ في سكون الليل

ههنا في الركن وحدي صاحبي المختار سهدي
وامين السر شعري ولباب السر وجدي
غارق لا اطلب النجدة والامواج تردي
بين عيني شريط العمر في قيظ وبرد
ورغاء النوء في فكري يدوي في تحد
عائد من كل سهل طالع في كل نجد
وسكون الليل حولي وحنين الصب عندي
يا لشوقي فاض وجداني بما اخفي وابدي
هذه الصحراء قدامي وليست ذات حد
وارى الداماء في جزر جرى من غير مد
وسماء تخطف الابصار في برق ورعد
والعطاشى كلنا في محنة من غير ورد
رحل السارون قبلي ومضوا من غير رد
في طريق ليس فيه مرشد في الدرب يهدي
يا حبيبي اين مني الدار ، كيف الاهل بعدي
قد اتينا دون قصد وسنمضي دون قصد
وقطعنا الدرب والمأمول في قرب وبعد
لم نبلغه وما زلنا نعاني في التصدي
كلما يغري بوصل لم نفز الا بصد
كم جنينا الشوك لم نظفر بفل او برند
ينقضي العمر ولا نكسب ما في العمر يجدي

علي محمد لقمان
عصيفرة – تعز – اليمن
ص.ب ٤٨٠٦

النهار – فعليه بتغيير غذائه ، او اتباع رياضة اوفق ، او ما الى ذلك .

فالانسان حيوان ، وسعادته تعتمد على وظائفه الفسيولوجية اكثر مما يطيب له ان يظن . وهذه خاتمة متواضعة ، ولكني لا أستطيع ان اكون رافضا للايمان بها. فانا واثق ان رجال الاعمال السعداء سيزيدون سعادتهم بالسير ستة اميال كل يوم اكثر مما يحتاجون الى تغيير ملحوظ لفلسفتهم لزيادة سعادتهم . واتفق ان كان هذا هو راي جفرسون الذي بكى على الحصان لهذا السبب . ولقد خانته اللغة اذ لم يستطع التنبؤ بالسيارة .

القاهرة
جرجس عبده

تحقيقات عرضية

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

(١)

قضايا افريقية ــ د. محمد عبد الغني سعودي ، الكويت، سلسلة عالم الكتب (٣٤) ذو القعدة ، ذو الحجة ١٤٠٠ هـ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٠

١ ــ ص ١٤٣ « لدى شعب اليوربا في غربي نيجيريا .. الاساطير ، والقصص ، والفوازير ، والامثال ، والحكم والتعاويذ والدوبيت .. »

الفوازير عامية محلية لا تليق بالكتاب . ولدينا « الالغاز » يمكن ان تقرب من المطلوب . واقرب فصيح من « فزر » : حزر « والحزر التقدير » ومن يدري فقد تكون فزر بمعنى فسر في الاصل وان فزورة كانت فسورة اي ما يطلب فسره وتفسيره (بوجه من الوجوه).

٢ ــ ص ١٤٦ « ولعل الشعر هو اكثر الضروب الادبية دراسة في الادب السواحيلي .. ويحمل بحران من بحوره الاربعة اسماء عربية وهي المشاري والرباعي .. الشعر السياسي .. الذي يطلق عليه المشاري .. مجاله المناقشات والمجادلات .. »

ليس المشاري والرباعي من البحور العربية (المعروفة) واذا كانت « الرباعية » من اشكال النظم (العربي) ، فما اعرف للمشاري مكانا في العروض العربي .. وربما اللغة الفصيحة .

٣ ــ ص ١٤٧ « وقد استعملت السواحيلية الحروف العربية في كتابتها اول الامر ، ورغم استعمال الحروف اللاتينية في كتابتها الان فان الالفاظ العربية واضحة فيها مثل :

Adabu = الاخلاق
Hadithi = قصة
Safari = رحلة .. »

كان المناسب ان يختار المؤلف الكلمات العربية التي تقارب في حروفها حروف العربية ــ السواحيلية في هذه الكلمات فيختار للاولى « الادب » ولا بأس في ان يضع الاخلاق بعدها بين قوسين للتفسير ، وللثانية : « حديث » وللثالثة : « سفرة » ..

٤ ــ ص ١٥١ « جزيرة جربا » ، ص ١٥٢ « جزيرة جربة » .

هكذا وردت برسمين مختلفين ، الثاني منهما (جربة) هو الصحيح . جاء في معجم البلدان لياقوت ط. صادر ١١٨/٢ « جربة بالفتح ثم السكون .. قرية بالمغرب .. وقد روي جربة ايضا بكسر الجيم ، وقيل هي جزيرة بالمغرب من ناحية افريقية قرب قابس يسكنها البربر وقال ابو عبيد البكري : وعلى مقربة من قابس جزيرة جربة .. اهلها .. خوارج » .

لم اجد في كتاب البكري : « معجم ما استعجم » شيئا عن جربة في حرف الجيم ، ولا في حرف القاف ..

٤ ــ ص ١٦٨ « ان اقدم حضارة .. في العالم اجمع كانت حضارة افريقية ، وهي الحضارة المصرية القديمة ».

سألت الدكتور سامي سعيد الاحمد الاستاذ بقسم التاريخ في كلية الاداب بجامعة بغداد ، وهو متخصص بالتاريخ القديم فكان مما قال : ربما كان ــ في السابق ــ خلاف في اقدم حضارة ، ووجد من قال انها المصرية ، ولكن ــ الان ــ لم يعد مجال للاختلاف والنقاش فقد ثبت بما لا يقبل الجدل ان الحضارة العراقية القديمة اسبق من المصرية ، اسبق كثيرا ، بعدة الوف من السنين اربعة او خمسة ..

(٢)

يونس بن حبيب ــ تاليف الدكتور حسين نصار ، القاهرة، دار الكاتب العربي ، مارس ١٩٦٨ (سلسلة اعلام العرب ــ ٧٥)

١ ــ لم الاحظ فيه ما ذكره الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب في بحثه « رواة اللغة والادب في العصر العربي الاول في تونس » المنشور في كتاب « الى طه حسين في عيد ميلاده السبعين » القاهرة ، ١٩٦٢ . قال الاستاذ عبد الوهاب ص ١١ « وكان ليونس اتصال كبير بآل المهلب في البصرة وله اختصاص زائد بيزيد بن حاتم ، فلما تولى امارة افريقية وفد عليه فيمن وفد .. »

٢ ــ ص ٣٩ « واشتهر من تلاميذه في الادب والاخبار ابو محرز خلف بن حيان الاحمر ، وابو عبد الله محمد بن سلام الجمحي » .

ذكر هذا الخبر واحال على المزهر ٢ : ٤٠٦ ، ولم تكن بالمسألة حاجة الى احالة ، واذا كان لا بد فقبل المزهر مصادر ومصادر .

ثم قال : « ونظرة واحدة في كتاب طبقات فحول الشعراء للجمحي ، وفي الاخبار التي اوردتها في دراستي

هذه كافية لتبين قدر دين الرجل لاستاذه » .
ومعلوم ان الاسم الصحيح الحقيقي لكتاب الجمحي هو « طبقات الشعراء » وليس « طبقات فحول الشعراء » .
وصحيح ان كتاب الدكتور نصار يدخل في سلسلة اقرب ان تكون للثقافة العامة ، ولكن « دراسته » لا تظهر دين الجمحي ليونس لان هذا الدين ضائع في ثنايا الكتاب، وكان المناسب وقفة خاصة عنده .

(٣)

المعجم العربي ـ د. حسين نصار ، بغداد ، سلسلة الموسوعة الصغيرة ـ ٨٠ ، تشرين الاول ١٩٨٠ .

١ ـ كان بهذه الحلقة حاجة الى مقدمة ـ ولو في صفحة واحدة . عن الدراسات الحديثة للمعجم العربي ويكون بين هذه الدراسات ـ وفي مقدمتها ـ كتاب الدكتور حسين نصار : « المعجم العربي : نشأته وتطوره » في جزءين .

ولا بأس بعد ذلك ، ان يعلم القارىء ، من طلاب الثقافة العامة ، ان هذا الكتاب الصغير الذي بين يديه خلاصة ـ ونقل سريعة ـ لذلك الكتاب الضخم الذي طبع مرتين ، كانت الاولى بالقاهرة ١٩٥٦ وقد ورد عليها: « طبع على نفقة سماحة السيد حسن شربتلي » ، وكلمة « سماحة » في غير مكانها الاصطلاحي ، لانها تقال للكبار من رجال الدين والسيد شربتلي رجل مال (ودولة) ، والمعتاد في بلاده (السعودية) ان يجاملوا (يعظموا ويكبروا) امثاله بكلمة « الشيخ » .

اما الطبعة الثانية فسنة ١٩٦٨ ، القاهرة ، مكتبة مصر .

(٤)

امين الخولي ـ مناهج تجديد (في النحو والبلاغة والتفسير والادب) ، القاهرة ، دار المعرفة ، الطبعة الاولى سبتمبر ١٩٦١ .

١ ـ ص ٢٦٩ « التفسير » ، وفي الذيل : « كتبت هذه المادة لدائرة المعارف الاسلامية ، حين لم يف الاصل بالمراد » .

أ ـ كتبت .. ونشرت .. في الترجمة العربية لدائرة المعارف الاسلامية .

ب ـ ونشرت ـ كذلك ـ في كتيب خاص اطلعت عليه عام ١٩٤٨ وكان مطبوعا قبلها .

٢ ـ ص ١٠١ « المبرد ت ٢٨٣ هـ » .

الصحيح ٢٨٦ هـ ويرد عام ٢٨٥ هـ ـ ولا موجب في مثل هذه الاحوال الى اثقال « التحقيقات » بالمصادر ، لان صاحبها لا يثبتها قبل التثبت بالرجوع الى اكثر من مصدر مؤتمن كابن خلكان في القدماء والزركلي (ط ٤) في المحدثين .

٣ ـ ص ١٠٥ « كتاب البديع لامير المؤمنين عبدالله ابن المعتز ت ٢ ، ٣ ق » . و «ت» تعني « توفي » .

الصحيح ت ٣ ق . لقد توفي ابن المعتز في القرن الثالث ، توفي (اي قتل) سنة ٢٩٦ هـ .

٤ ـ ص ١٢٠ « .. في البيان والتبيين يقول : ـ « ان معمرا ابا الاشعث قال لبهلة الهندي ايام اجتلب يحيى بن خالد اطباء الهند مثل فلان وفلان : ما البلاغة عند اهل الهند ؟ قال بهالة : عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة .. » واحال على البيان والتبيين ١ : ٧٥ ـ ط السندوبي .

في تحقيق الاستاذ عبد السلام محمد هارون ١٣٦٧ ـ ١٩٤٨ ، ١ : ٩٢ :

أ ـ « قال معمر ، ابو الاشعث : قلت لبهلة » ، هو بهلة ، اما بهالة فخطأ مطبعي .

ب ـ فلان وفلان : في الاصل « مثل منكة وبازيكر ، وقلبرقل ، وسندباد وفلان وفلان .. »

٤ ـ ص ١٣٤ « ابو هلال العسكري ـ ت ٣٦٥ » ص ١٣٥ « ابن الاثير ضياء الدين ت ٦٧٣ » .

ابو هلال ت ٣٩٥ ، ابن الاثير ٦٣٧ (والخطأ مطبعي وقد ورد صحيحا ص ١٦٣) .

٥ ـ ص ١٣٧ « نقد الشعر ، ونقد النثر : لقدامة، ونسبة الاول اليه اثبت من نسبة الثاني ، وكلاهما مطبوع ... »

هذه مسألة فرغ منها ، واشرنا ـ ونشير ـ اكثر من مرة اليها ، ولم تعد مسألة اختلاف او ترجيح . لقد ثبت ان « نقد النثر » ليس لقدامة ، وان الذي طبع منه ليس الا جزءا من كل . وقد طبع نقد النثر هذا ـ فيما بعد ـ مرتين باسمه الحقيقي : « البرهان في وجوه البيان » لمؤلفه الحقيقي ابي الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ، ينظر تحـ د . مطلوب ، ود. الحديثي ، بغداد ١٩٦٧ .

٦ ـ ص ١٣٩ « الجامع الكبير لابن الاثير .. وهو مخطوط بمصر » .

طبع الكتاب ببغداد سنة ١٩٥٦ بتحقيق د. مصطفى جواد ود. جميل سعيد .

٧ ـ ص ١٥٠ « البديع لامير المؤمنين عبد الله بن المعتز المتوفى سنة ٣١٠ هـ » : المتوفى سنة ٢٩٦ هـ .

(٥)

رواية اللغة ـ دكتور عبد الحميد الشلقاني ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧١ .

١ ـ ص ١٢ « جورجي زيدان » : جرجي زيدان. وكذلك ص ١٢٢ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

٢ ـ ص ٣٩ « قال كعب :

فمن للقوافي شانتها من يحوكها ... اذا ما ثوى كعب وفوز جرول

وردت « شأنها بالهمزة » ، والصحيح شانها بغير

همزة وعلى اختلاف في المعنى .

قال الاستاذ محمود محمد شاكر في تحقيقه « لطبقات .. الشعراء » : « .. شانها .. خطأ صرف . وشانها جاء بها شائنة معيبة .. »

٣ - ص ١٩٤ - ١٩٥ « الخليل .. انشأ يقول :

ابلغ سليمان اني عنك في سعة وفي غنى غير اني لست ذا مال
سخي بنفسي اني لا ارى احدا يموت هزلا ولا يبقى على حال

واحال على ٣١ اخبار النحويين البصريين .. للسيرافي ط . الحلبي ١٩٥٥ - وقد وردت « هزلا » بفتح الهاء .

في اخبار النحويين البصريين ط . بيروت الكاثوليكية « سخا بنفسي أني .. » بفتح همزة اني - وهو الصحيح ،

وفي طبقات النحويين واللغويين للزبيدي « أبلغ سليمان اني .. سخى .. انى » وفتح اني الاولى والثانية هو الصحيح ومثله معجم الادباء ط . المأمون ٧٦/١١ .

وفي وفيات الاعيان تحـ . د. احسان عباس ٢٤٦/٢ « شحا بنفسي .. يموت هزلا .. » بضم الهاء . ولسان العرب يفتح الهاء ويضمها . ومن يدري فقد يكون الضم اولى فيها وفي الهزال ؟

ووردت « في سعة » : « في دعة » في احدى مخطوطات وفيات الاعيان .

(٦)

مدخل الى تاريخ الاغريق وادبهم وآثارهم ، تاليف ا. بتري ترجمة الدكتور يوئيل يوسف عزيز ، الموصل ، مؤسسة دار الكتب بجامعة الموصل ١٩٧٧ .

١ - ص ٣٤ « ان طبقة الرجال الذين سميوا بالسفسطائيين .. يمكن وصفهم بالفلاسفة العمليين » .

سميوا : سموا .

٢ - ص ١٠٢ « الثقاة » : الثقات .

٣ - ص ٩٥ عيد « بيثيا » وردت ص ١٠٢ « عيد باناتينا » .

٤ - ص ١٠٨ « وصلت الينا سبع مسرحيات من تأليف اسخيلوس هي : المتضرعون .. اغاممنون ، كيفوري ، اويمنديس ، والمسرحيات الثلاثة الاخيرة هي الثلاثية الوحيدة التي وصلت الينا .. »

ا - المتضرعون : المتضرعات .

ب - المسرحيات الثلاثة : المسرحيات الثلاث .

٥ - ص ١٠٨ « سوفوكليس .. ادخل اسلوب الثلاثية التي تكون فيها كل مسرحية مستقلة عن المسرحيتين الاخريتين » .

الاخريتين : الاخريين .

٦ - ص ١١١ « ارسطوفانيس .. وصلت الينا مسرحياته احدى عشرة وهي .. الغيوم .. »

ترجمت هذه المسرحية الى العربية باسم السحب ، وتحدث عنها المتحدثون باسم السحب ايضا .. حتى صارت « السحب » علما لها .

٧ - ص ١١٦ « هذه الخطب جزء لا يتجزء » : لا يتجزأ .

٨ - ص ١١٨ « ارسطو .. اشد مؤلفاته بالادب هما البلاغة ورسالة في الشعر »

الاولى ترجمة « البلاغة » بفن الخطابة او صناعة الخطابة ، وقد ترجمت الى العربية بالخطابة اكثر من مرة .. آخرها واتمها ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي .

والاولى بترجمة رسالة الشعر ان تأتي « فن الشعر » او صناعة الشعر ، وكثرت ترجمته الى العربية بفن الشعر

٩ - في « عربية » الترجمة خطأ غير قليل في كتابة الهمزة واستعمال حروف الجر كأن يقطع الهمزة الموصولة ويقول ميز عن بدلا من ميز من .. وغير ذلك مما كان يمكن تجنبه في يسر لو عرض المترجم عمله على عارف بالعربية .

(٧)

البير كامو - بقلم كونر كروز اوبراين ، ترجمة عدنان كيالي ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، سلسلة اعلام الفكر العالمي المعاصر ، ايار ١٩٧٢ .

١ - ص ٥ « في السابع من تشرين الثاني ١٩١٣ وفي قرية موندو بالقرب من مدينة قسطنطينة الجزائرية ولد البير كامو .. »

ا - قسطنطينة ترجمة « حرفية » للفظ الفرنسي ، اما الجزائريون انفسهم فانهم يلفظونها ويكتبونها على : قسنطينة .

ب - البير لفظ صحيح لان « التاء » الاخيرة من رسم الحروف الفرنسي Albert لا تلفظ لدى الفرنسيين ، ويخطىء من يكتبها « البرت » على انها اللفظ الفرنسي ، وقد وقعت الترجمة في هذا الضرب من الخطأ ص ٩٥ ، وعادت الى الصواب ١٤٦ - ١٥٠ ، وكان رسم عنوان الكتاب صحيحا .

٢ - ص ٦ - « ويبدو ان اول عهده بالالتزام السياسي يعود الى عام ١٩٣٣ عندما انضم الى حركة امستردام - بليبل المناهضة للفاشية والتي اسسها هنري باربروس وررومين رولاند » .

ا - باربروس : باربوس .

ب - رومين رولاند : رومان رولان

٣ - ص ٧ « رئس بعثة ثقافية الى الجزائر .. واسس فرقة مسرحية .. وزودها بأول رواية من تاليفه .. » عام ١٩٣٥ .

ا - صحيح رئس : راس .

ب - رواية : الاحسن ترجمتها بما استقر عليه المصطلح العربي : مسرحية .

٤ - ص ٨ « وفي عام ١٩٣٨ وضع روايته الثامنة « كاليغولا » .

المناسب ان تكون مسرحيته الثانية ، وتنظر ص ٩، ٨١، ٩٦، ١٤٧ .

٥ ـ ص ٨ « حالة الفقر المدقع الذي تعانيه ولاية « القبيلي » في الجزائر .. »، ص ١٦ ـ القبيلي، صحيحها القبائل ، والقبائل يتوزعون على اكثر من ولاية ، وليس في الجزائر ولاية باسم : ولاية القبائل ، وانما فيها منطقة ..

٦ ـ ص ٩ « انجز في عام ١٩٤٩ مسرحية «كاليفولا» ورواية « الغريب » .

كاليفولا من الخطأ المطبعي ، صحيحه كاليغـولا ، وكذلك ص ٣٨، ٤١ .

٧ ـ ص ١٦ « ان الجناح اليساري وحتىالشيوعيين منهم ، شاركوا دون وعي او قصد منهم في فرضيـات الاستعمار الذي رفضوه بوعي منهم .. »

الصحيح : وحتى الشيوعيون منهم .

٨ ـ ص ٤٦ « افسح المجال » : فسح .

٩ ـ ص ٨٦ « قصيدة بيتس القصيرة « اليـوم العظيم » .. »

لعله يتس .

١٠ ـ ص ٩٦ « جاسبرز وهيدغر وكيرغـارد في رواية اسطورة سيزيف »

أ ـ جاسبرز : ياسبرس، لانه الماني Jaspers

ب ـ اسطورة سيزيف ليست رواية وانما هيكتاب يقوم على مقالة فلسفية طويلة .

١١ ـ ص ٩٨ « لا يؤيد الكاتب فيها سارتر في اي واحد من وجهات النظر »

في اي (او اية) واحدة من وجهات ..

١٢ ـ ص ١٠٣ « في ايار ١٩٤٥ وقعت في الجزائر ولا سيما في منطقة ستيف اضطرابات محلية : وتـولى سلاح الجو والمدفعية البحرية قمعها بوحشية .. » ص١٠٤

ستيف : الجزائريون يلفظونها ويكتبونها سطيف ، وقد اصدروا طوابع عليها كلمة « سطيف » .

١٣ ـ ص ١٠٥ « في الترة ١٩٥٢ ـ ١٩٥٤ ـ اي في الفترة التي سبقت مباشرة اندلاع نيران الحرب الجزائرية ـ كتب كامو ست قصص جمعت فيما بعد في مجلد واحد سمي « المنفى والملكوت » ..

مجلد : كتاب . وكأن المترجم تقيد بالترجمـة « الحرفية » للكلمة الفرنسية Volume ، على حين توحي الكلمة العربية (مجلد) بالضخامة في الحجم وما كانت « المنفى والملكوت » كذلك .

١٤ ـ ص ١١٢ « الرواية » : القصة (القصـة القصيرة) ، ص ١٢٢ « يلاحظ هنا ان تركيب الرواية هنا شأنه شأن تركيب روايات كامو الاخرى في مجموعـة « المنفىوالملكوت » اشبه ما يكون بالحلم » : روايـات : قصص ...

١٥ ـ ص ١٤٤ « بحازي » : مجازي ، والخطـأ مطبعي .

(٨)

كتاب نقد النثر لابي الفرج قدامة بن جعفر .. ، بيروت ، المكتبة العلمية ، دار الكتب العلمية ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ . يطلب من احمد الباز ، دار الباز ، مكة المكرمة .

الكتاب طبع بالاوفست للطبعة المصرية التي فـات اوانها وثبت خطؤها ، لان المطبوع هذا ليس الكتاب كاملا وانه ليس لقدامة ، وقد طبع ـ بعد الطبعة المصرية تلك ـ مرتين كاملا باسم « البرهان في وجوه البيان » لاسحاق ابن وهب ..

(٩)

ببلوغرافيا العصر الجاهلي ـ تاريخه وادبه ـ بقلم الدكتور عفيف عبد الرحمن ـ جامعة اليرموك الاردن ص ص ٢١٥ ـ ٢٦٠ من مجلة المورد البغدادية ، العدد الثالث من المجلد التاسع ١٤٠٠ ـ ١٩٨٠ .

جهد المؤلف واضح ، ولكنه وسع الميدان وشعبه فكان طبيعيا ان يلاحظ عليه المرء امورا غير قليلة في المنهج وفي المادة ، ولسنا بهذا الصدد ، وانما :

١ ـ ص ٢١٩ ، « الاصمعي « فحـولة الشعراء » تحقيق س. توري ، دار الكتاب الجديد ـ بيروت .. »

التحقيق نشره اصلا المستشرق ش. توري في مجلة جمعية المستشرقين الالمان عام ١٩١١ ، وعنهـا استلت دار الكتاب الجديد العمل ونشرته سنة ١٩٧١ ـ وذكرت ذلك في القدمة . واسم المستشرق « تشارلس .. »

٢ ـ ص ٢٢١ « ابن عبد الله : الحسن ـ آثار الاول في ترتيب الدول ، القاهرة ١٣٠٨ هـ »

ابن عبد الله ليس لقبا يعرف به ، وانما هو العباسي، وللكتاب طبعة في القاهرة بولاق ١٢٩٥ هـ ، واخرى على هامش كتاب السيوطي « تاريخ الخلفـاء » القاهـرة ، الميمنية ، ١٣٠٥ هـ .

ونقول بعد هذا ان الكتاب ليس المصدر الذي يذكر ويؤكد بين مصادر الشعر الجاهلي وتاريخه .. لانهمصدر اسلامي ، يعنى بالنظم الاسلامية واخلاق الملوك والرعيـة « والشريعة الاحمدية » ، مدحا وثناء واطراء لسلطـان زمانه الملك « المظفر » .. وقد شرع المؤلف في تاليفه سنة ٧٠٨ .

٣ ـ ص ٢٢٢ « آل نبهان ، خليفة بن حمد ـ التحفة النبهانية في تاريخ جزيرة العرب »

جاء في معجم المطبوعات العربية : « الشيخ محمدبن الشيخ خليفة بن حمد النبهاني الطـائي المكي ، المدرس بالمسجد الحرام ـ التحفة النبهانية في امارات الجزيـر العربية ، الجزء الاول ،مط. الاداب ، بغداد ١٣٣٢ ص ١٤٤ » ـ وسيأتي كلام عليه .

٤ ـ ص ٢٢٤ « جباروك ، مصطفى عبد اللطيف ـ

الحياة والموت في الشعر الجاهلي »

صحيح جباروك : جياووك – وليس الخطأ بالياء مطبعيا كما يوضح ذلك التسلسل الهجائي لان جياووك ورد قبل «الجبوري» .

٥ – ص ٢٢٥ « الحلبي ، داود ، تطور الادب العربي من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي بغداد ١٩٦٨ .. مع الادب القديم .. »

الصحيح : سلوم ، داود . ويذكر له (بالاشتراك): « معجم لغات القبائل » جزءان وطبع له في الكويت «دراسة اللهجات العربية القديمة » ١٩٧٥ .

٦ – ص ٢٢٠ « جب ، هاملتون ، دراسات في حضارة الاسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٤ » .

ليس للكتاب علاقة بالباب الذي ورد تحته : « المصادر » فهو ليس مصدرا اي كتابا قديما ..

وليس هو مرجعا للادب الجاهلي ، فما فيه منه شيء يذكر ، وهذه هي موضوعاته : التاريخ الاسلامي في العصور الوسطى ، في النظم والفلسفة والدين ، دراسات في الادب العربي (بدء التأليف النثري ، نشأة الانشاء الادبي ، في الادب العربي الحديث) .

ومما ذكره تحت « المصادر » : نزهة الالباء ، وقال: ابن الانباري ، والصحيح الأنبازي ، وذكر طبعتين مصريتين ولم يذكر تحقيقا للدكتور ابراهيم السامرائي طبع في بغداد مرة ١٩٥٩ وفي بيروت مرة ١٩٧٠ .

ثم انه – قبل ذلك – ليس مصدرا واجب الذكر من مصادر العصر الجاهلي .. وذكر مثله يستدعي ذكرعشرات من نظائره .

٧ – ص ٢٢٢ « المعري .. رسالة الغفران ، دار المعارف بمصر ١٩٥٠ .. »

الاولى هنا ، ذكر اسم المحققة الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، وقد ذكر المؤلف كثيرا من اسماء المحققين لدى ذكره كتبا اخرى .

ثم ان عام ١٩٥٠ هو تاريخ الطبعة الاولى .. وقد اجرت المحققة عليها تعديلات واضافات في الطبعات التالية ومنها في الطبعة الثانية – مثلا – تحقيق رسالة ابن القارح ، ومناسب ان تذكر هذه الطبعات او اخر طبعة منقحة لدى عمل البيبلوغرافيا ، كأن تكون الطبعة الثالثة او الرابعة او الخامسة او السادسة ..

٨ – ص ٢٣٥ « الهاشمي ، محمد علي . المراة في الشعر الجاهلي بغداد ١٩٦٠ . عدي بن زيد ، حلب١٩٦٤»

الصحيح ان الكتابين لمؤلفين مختلفين يوحدهما اللقب « الهاشمي » الاول علي زين العابدين الهاشمي وهو عراقي ، والثاني سوري .

٩ – ص ٢٣٩ « شاكر ، محمود محمد . الشعر الجاهلي ، مجلة العرب ، السعودية .. ١٩٧٥ . قصيدة تأبط شرا في رثاء قريب له .. مجلة المجلة المصرية » .

وهذان – كذلك – كاتبان مختلفان يوحدهما « شاكر ، محمود محمد » .

١٠ – ص ٢٥٦ « طبقات الشعراء لابن سلوم ، نشره دلافيدا (الايطالي) مجلة الدراسات الشرقية ١٩١٩ » .

دلافيدا لم ينشر « طبقات الشعراء » وانما كتب « تعليقا » على تحقيق « طبقات الشعراء » الذي عمله « هل » وطبعه في ليدن ١٩١٣ – ١٩١٦ ثم أعادت طبعه على الاوفست دار النهضة العربية ببيروت د. ت.

١١ – ص ٢٦٠ « نيكلسون .. القسم العباسي ».

لا موجب لذكر « القسم العباسي » وموضوع البيلوغرافيا : الجاهلي .

١٢ – لم يذكر في الرسائل الجامعية : لهجة تميم لغالب فاضل المطلبي ، بغداد ١٩٧٨ .

١٣ – التعقيبات يمكن ان تكون كثيرة .. منها انه لم يذكر لتاريخ الامم والملوك للطبري ص ٢٢١ طبعة اوربا (في الاقل) ، والمفروض بالبيبلوغرافيا ان تستوفى. وعن الشعر والشعراء ص ٢٢٢ لم يذكر ط. اوربا ، وط. دار الثقافة (وغير صحيح ان يذكر اسم عبد السلام هارون على انه شريك لاحمد محمد شاكر في تحقيق طبعة دار المعارف بمصر لكتاب ابن قتيبة ، لا في طبعته الثانية ولا الاولى).

ومثل ذلك قل في طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٢٢ (ولكن ما الحاجة الى طبقات الشعراء لابن المعتز وهو قائم على المحدثين (العباسيين) وربما كان ذكر كتاب البديع اولى) ، ومثل ذلك اليعقوبي ص ٢٢٣ .

ولدى ذكر الجبوري (يحى) ص ٢٢٩ وذكر كتابه لبيد ، ذكرت ط ١٩٦٢ وهي ليست شيئا بالنسبة لطبعة اخرى فيها دراسة مجددة – وهي رسالة جامعية (للدكتوراه) ، بغداد ، مكتبة الاندلس ١٩٧٠ .

وفي الكلام على شرح التبريزي للمعلقات كان لا بد من ذكر تحقيق الدكتور قباوة . ويمكن ان نضيف هنا «شرح الاشعار الستة الجاهلية » للبطليوسي ، وقد صدر الجزء الاول منه ببغداد بتحقيق ناصيف سليمان عواد ١٩٧٩ .

وهناك ميدان مكمل لا يستغنى عنه في الدراسة الجاهلية هو ميدان المعجمات اللغوية كالصحاح والمحيط والتاج واللسان .. ، وميدان معجمات المطبوعات كمعجم سركيس .. والمعجم الخاص ببلاد معينة مثل معجم كوركيس ..

وتبقى بمسألة النص على عدد اجزاء الكتاب لديه حاجة الى تدقيق . يقول مثلا : « البستاني ، بطرس ، ادباء العرب ٣ اجزاء » ولا اهمية للاجزاء الثلاثة في بيلوغرافيا العصر الجاهلي لان الاهمية تقع في الجزء الاول فقط . وقل مثل ذلك في « زيدان – تاريخ اداب اللغة العربية . ٤ اجزاء » .

وهناك كتاب صدر في بيروت في طبعة تجارية اسمه

لا تنتهي أطماعي

قلبي يكاد يطير من اضلاعي
شوقا اليك ، وانت بين ذراعي
ارقصته بحديثك العذب الذي
كلماته شعرية الايقاع
انا لو ضممتك في حنايا مهجتي
لا ينتهي شوقي ولا اطماعي
احبيبتي : ان الوفاء سجية
لي في الهوى ، والصدق بعض طباعي
هذا فؤادي من خلال قصائدي
تبدو مشاعره بغير قناع
اني اتخذتك ملهما ، توحين لي
شعري ، وليس للذتي ومتاعي
فرفعته بفتونك السامي الى
اوج الجمال ، وقمة الابداع

العراق ـ بغداد ص ب ٢٢٠٣٨ — محمد جواد الغبان

« الادب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي » للدكتور ج. هيوارث دن ـ كنت اود ان يتطرق المؤلف الى ذكره وامتحانه .. ومحاولة اعادته الى اصله ، فاني في شك منه كبير !!

ومن مواد البيليوغرافيا (ترى اما كان مناسبا ان نوجد لها اسما عربيا نصطلح عليه ، كالمكتبة ..) ما ورد ناقصا كأن المؤلف لم يصل الى اكماله ، ومن ذلك ص٢٢١ « السلمي ، عزام بن الاصبغ (ت ٢٧٥ هـ) اسماء جبال تهامة » وكما له « .. كتاب اسماء جبال تهامة ـ وسكانها تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، مط. امين عبد الرحمن ١٣٧٣ » .

ومنه ص ٢٣٠ « حمزة ، فؤاد ـ قلب جزيرة العرب » ومن تمام المعلومات ان تاريخ مقدمة تأليف الكتاب مكة ١٢ ربيع الاول ١٣٥٢ ـ ٥ مايو ١٩٣٣ ، وقد اعيد طبعه سنة ١٣٨٨ ـ ١٩٦٨ .

ولقد ذكرنا تصحيحا لما ورد ص ٢٢٢ « آل نبهان ، خليفة بن حمد ، التحفة النبهانية في تاريخ جزيرة العرب» ونزيد ونؤكد هنا ان ليس لخليفة بن حمد كتاب بهذا الاسم ، وانما الكتاب لابنه محمد واسم الكتاب الكامل : « التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية » وهو اثنا عشر جزءا ـ ينظر عنه عمر عبد الجبار ، دروس من ماضي التعليم ص ٢٥٢ ـ ٢٥٥ .

.. ان الكتب التي صدرت في الحجاز ونجد ولها علاقة مباشرة (او غير مباشرة) بتاريخ الجاهلية وادبها .. كثيرة ، اكثر مما نتصور ، نذكر منها على سبيل المثال ـ اخبار مكة للازرقي ، واخبار مدينة الرسول لابن النجار، تحقيق النصرة للمراغي ، التعريف للمطري ، شفاء الغرام للفاسي ، العقد الثمين له ، .. ومؤلفات حديثة كثيرة في مقدمتها صحيح الاخبار لابن بليهد (طبع مرتين) ، ومؤلفات الشيخ حمد الجاسر ومجلته (العرب) والمعجم الجغرافي الذي يشرف عليه .. ومؤلفات الاستاذ عبد القدوس الانصاري ، ومجلته العريقة (المنهل) .. ثم مجلات كليات الاداب ، والدارة .. قد تكون بالسعودية حاجة الى وقفة خاصة وبحث خاص ..

واعتذار المؤلف عن صعوبة حصر « المقالات » مقبول لدى الضرورة القصوى لانه يمكن ان يكون عملا مستقلا قائما بنفسه . واقرب ما يمكن ان اضيفه هنا بحث للدكتور محمد مهدي البصير بعنوان « اعشى بكر » تضمنه الاصدار الخاص من مجلة كلية الاداب بجامعة بغداد لمناسبة « اربعينية البصير » ، العدد الثامن عشر ١٩٧٤ ص ص ٢٠ ـ ٢٨ .

آمل ان يكون عمل الدكتور عفيف عبد الرحمن منطلقا لاستكمال المكتبة الجاهلية ، ولا بد لذلك من تضافر الجهود وليلاحظ ان عمل الدكتور عبد الرحمن قد سبقته محاولة ـ فاته ان يشير اليها ـ هي محاولة الدكتور صالح احمد العلي في كتاب « الادب العربي في آثار الدارسين » الذي عملت على تأليفه الجامعة الاميركية في بيروت ، وقد صدر عام ١٩٦١ عن دار العلم للملايين .

بغداد ـ الجادرية — علي جواد الطاهر

شواعر من الأندلس

بقلم عبد الغني العطري

* * *

حفظ لنا التراث العربي ، كثيرا من روائع ادباء الاندلس وشعرائه الخالدين . واحتل هذا الادب مكان الصدارة في المكتبة العربية . ولكن ادب المراة الاندلسية وشعرها ، ضاع في المغرب ، كما ضاع من قبل في المشرق ، ولم يحفظ لنا تاريخ الادب الاندلسي سوى النذر اليسير من الشعر ، وغير ابيات ومقطوعات ومتفرقات .

لقد قالت المراة العربية الشعر ، ولعلها لم تكن اقل شأنا من الرجال في هذا المضمار ودليلنا على ذلك قول ابي تمام : « لم انظم شعرا حتى حفظت سبعة عشر ديوانا للنساء خاصة » . وكذلك ما روي عن ابي نواس انه قال : « ما قلت الشعر حتى رويت لستين امراة ، منهن الخنساء وليلى » . فأين ذهب هذا الشعر ؟ واين اين اختفت هذه الكنوز ؟ لقد طوتها يد الايام دون ريب ، مع ما طوت من آثار واشعار ، وحكم ومخطوطات لا حصر لها .

وشعر المراة محصور اكثره بين الغزل والرثـــاء . وهذان اللونان من الشعر يعبران عادة عن عاطفة مشبوبة يلهبها الحب والوجد ، او تثيرها الفاجعة والدموع . والمراة شديدة التأثر بالحب والفاجعة . اما الوصف والمديـــح والهجاء ، وفنون الشعر الاخرى ، فيكاد يكون ما وصلنا من شعر المراة فيها اقل من النادر .

وفي الاندلس ، وطن السحر والجمـــال ، ظهر الى الوجود عدد من الشواعر ، نبغن في قو لالشعر ، وبرعن في هذا الفن ، ولكن شعرهن ضاع وعفت عليه يد الزمن ، وبقيت لنا اسماء قليلة وابيات ومقطوعات يسيرة ، ونتف واخبار لا تعطي سوى صورة باهتة مشوشة عن شعر المراة الاندلسية . ومن خلال هذه الاسماء والمقطوعات ، والنتف والاخبار ، سنحاول ان نلقي بعض الاضواء على لشعر الاندلسي عند المراة :

ابرز من نعرف من شواعر الاندلس ولادة بنـــت المستكفى ، فقد ولدت وعاشت وترعرعت في احضان الملك، كما عرفت بالجمال وخفة الروح ، ونشأت في مهد الدلال، ونبتت نبتة الملوك ، واتقنت اللغة والادب وقول الشعر . وتعتبر ولادة من مفاخر الاندلس . قال ابن بشكـــول صاحب كتاب الصلة : « كانت ولادة اديبة شاعرة ، جزلة القول ، حسنة الشعر ، تناضل الشعراء ، وتساجــل الادباء ، وعمرت ولم تتزوج ، وتوفيت سنة ٤٨٠ . كان ابوها المستكفي قد بايعه اهل قرطبة ، لما خلعوا المستظهر، وكان خاملا ساقطا ، وخرجت هي في نهايـــة من الادب والظرف ، حضور شاهد ، وحرارة اوابد ، وحسن منظر ومخبر ، وحلاوة مورد ومصدر .

وكان مجلسها بقرطبة منتـــدى لاحرار الصبر ، وفناؤها ملعبا لجياد النظم والنثر ، يعشو اهل الادب الى ضوء غرتها ، ويتهالك افراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها . تخلط ذلك بعلو نصاب ، وكرم انساب ، وطهارة اثواب . عشقها ابن زيدون ، شاعر الاندلس الاكبر وهام بها اي هيام وقال فيها معظم شعره في الغزل . ويروى انها زارته ذات يوم ، فلما همت بالانصراف انشدته هـــذه الابيات ، التي تروى ايضا لابن زيدون ، وقد وردت في ديوانه المطبوع :

ودع الصبـــر محـــب ودعك ذائـــع من سره مـــا استودعك
يقـــرع الســن على ان لم يكـــن زاد في تلـــك الخطى اذ ودعـــك
يا اخـــا البـــدر سنـــاء وسنى حفظ الله زمانـــا اطلعـــك
ان يطـــل بعـــدك ليلي فلـــكم بـــت اشكـــو قصر الليـــل معك

ويروى ان ابن زيدون بعث اليها ذات يوم بهــذه الابيات :

الا هل لنا من بعـــد هذا التفرق سبيـــل فيشكو كل صب بمـــا لقي
وقد كنت اوقات التزاور في الشتا ابيت على جمر من الشوق محرق
فكيف وقد امسيـــت في حال نؤية لقد عجـــل المقدور مـــا كنت اتقي
تمـــر الليـــالي لا الصبابة تنقضي ولا الصبر من رق التشـــوق معتقي
سقى الله ارضا قد غدت لك منزلا بكـــل سكوب هاطل الوبل مغدق

فأجابته ولادة بقولها :

لحى الله يوما لست فيـــه لالتقي محيـــاك من اجـــل النوى والتفرق
وكيف يطيـــب العيش دون مسرة واي سرور للكئيـــــب المـــؤرق

ومن قولها :

ترقـــب اذا جـــن الظـــلام زيارتي فاني رأيـــت الليـــل اكتـــم للسر
وبي منك ما لوكان بالشمس لم تلح وبالبدر لم يطلع، وبالنجم لم يسر

وكما عرف عن ابن زيدون حبه لولادة ، عرف عن الوزير ابن عبدوس حبه لها ايضا ، ومنافستـــه له على قلبها ، الامر الذي دفع به الى القاء ابن زيدون في السجن، كي يصفو له الجو ، وتخلو له الساح .

واتهمت ولادة بالتبذل ، وقيل انها كتبت على كميها عن يمين وعن شمال قولها :

انـا والله اصلح للمعالي وامشي مشيتي واتيـه تيهـا
امكن عاشقي من لثم ثغري واعطي قبلتي من يشتهيها

على ان تهمة التبذل هذه ، مشكوك بأمرها ، لان الشعراء يقولون ما لا يفعلون ، وبدليل قول ابن زيدون عنها :

وغرك من عهد ولادة سراب تراءى وبرق ومض
هي الماء يابى على قابض ويمنع زبدته من مخض

فكيف تكون ولادة ، سليلة المجد والشرف ، والاديبة الاريبة ، والحسناء الشاعرة ، خليعة ماجنة ، مستهترة ، تمكن اي عاشق من لثم ثغرها ، وتعطي القبلة من يشتهيها؟ كيف تكون كذلك ، وقد شبهها ابن زيدون بالماء الذي يتعذر على احد امساكه ؟

وبقيت ولادة على ولائها لابن زيدون الى ان فرت من قرطبة الى اشبيلية .

ولولادة ايضا شعر ماجن ، وهجاء مقذع لابن زيدون بعد ان هجرته وتحول قلبها عنه .

* * *

ومن اديبات الاندلس وشواعرها « حمدة » ويقال لها حمدونة بنت زياد المؤدب ، وهي من وادي آش احدى مدن الاندلس . قال ابن المقري في نفح الطيب :

هي خنساء المغرب وشاعرة الاندلس دون منازع .

ومن منظومها ــ وقد خرجت مع نساء الى واد ، نهره منقسم الجداول بين الرياض ، فنضون ثيابهن وسبحن في الماء وتلاعبن :

اباح الدمع اسراري بواد به للحسن آثار بواد
فمن نهر يطوف بكل روض ومن روض يرف بكل واد
ومن بين الظباء مهاة انس سبت لبي وقد ملكت فؤادي
لها لحظ ترقده لامر وذاك الامر يمنعني رقادي
اذا اسدلت ذوائبها عليها رايت البدر في افق السواد
كان الصبح مات له شقيق فمن حزن تسربل بالسواد

* * *

ومن شواعر الاندلس عائشة بنت احمد القرطبية ، ويروى انه لم يكن في زمانها من حرائر الاندلس من يعدلها فهما وادبا وشعرا وفصاحة . دخلت على الملوك ومدحتهم، وماتت وهي عذراء سنة اربعمائة للهجرة ، ويصفها ابن سعيد الرحالة في كتابه « المغرب في اخبار المغرب » بانها من عجائب اوانها . وابو عبد الله الطيب عمها . ولو قيل انها اشعر منه لجاز . دخلت على المظفر بن المنصور ابن ابي عامر ، وبين يديه ولده فارتجلت :

اراك الله فيه ما تريد ولا برحت معاليه تزيد
فقد دلت مخايله على ما تؤمله وطالعه السعيد
وكيف يخيب شبل قد نمته الى العليا ضراغمة اسود
فسوف تراه بدرا في سماء من الجلي كواكبه جنود
فانتم آل عامر خير آل زكا الابناء منكم والجدود
وليدكم لدى راي كشيخ وشيخكم لدى حرب وليد

ومنهن ايضا « نزهون الغرناطية » من اهل المئة الخامسة . وقد وصفها صاحب كتاب « المسهب » « بخفة الروح والانطباع الزائد والحلاوة ورواية الشعر والامثال. مع الجمال الفائق والحسن الرائق » . يروى انها كانت تقرأ مع ابي بكر المخزومي الاعمى ، فدخل عليها ابو بكر الكندي ، فاخذه جمالها فقال يخاطب المخزومي :

لو كنت تبصر من تجالسه . .

فافحم واطال الفكرة، فما وجد شيئا، فقالت نزهون:

لغدوت اخرس من خلاله
البدر يطلع من أزرته والغصن يمرح في غلاله

ومن شعرها :

لله در الليالي ما احيسنها وما احيسن منها ليلة الاحد
لو كنت حاضرنا فيها وقد غفلت عين الرقيب فلم تنظر الى احد
ابصرت شمس الضحى في ساعدي قمر بل ريم خازمة في ساعدي اسد

* * *

ومن شواعر الاندلس ، زوجة قاضي « لوشة » احدى مدن الاندلس . ويقال انها فاقت العلماء في معرفة الاحكام والاقضية ، حتى لقد كتب اليه احد اصحابه مداعبا :

« بلوشة » قاض له زوجة واحكامها في الورى ماضيه
فيا ليته لم يكن قاضيا ويا ليتها كانت القاضيه

فارتجلت الشاعرة حين اطلعها زوجها القاضي على الابيات :

هو شيخ سوء مزدري له شيوب عاصيه
كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصيه

* * *

ومن شواعر الاندلس ايضا «قسمونة بنت اسماعيل» وكان ابوها شاعرا ، وقد عني بتاديبها . قال ابن المقري : وربما صنع من الموشحة قسما فاتمتها . قال لها يوما ابوها ، اجيزي :

لي صاحب ذو بهجة قد قابلت منها بظهر واستحلت جرمها

فقالت :

كالشمس منها البدر يقبس نوره ابدا ويكسف بعد ذلك جرمها

فقام كالمختبل وضمها اليه ، وجعل يقبل رأسها ويقول : انت والعشر كلمات اشعر مني ، ونظرت في المرآة فرات جمالها ، وقد بلغت اوان الزواج ولم تتزوج فقالت:

ارى روضة قد حان منها قطافها ولست ارى جان يمد لها يدا
فوا اسفا يمضي الشباب مضيعا ويبقى الذي ما ان اسميه مفردا

ومن قول قسمونة بنت اسماعيل في ظبية كانت تحت يدها :

يا ظبية ترعى بروض دائما اني حكيتك في التوحش والحور
امسى كلانا مفردا عن صاحب فلنصطبر ابدا على حكم القدر

هذه لمحة عن بعض ما وصل الينا من شعر المراة العربية في الاندلس . ولو وصل الينا هذا الشعر كله ، لكان دون شك ثروة تضاف الى المكتبة العربية وتملأ فيها فراغا كبيرا ، وتعطي للادب العربي عامة الدفء والحرارة وتبعث فيه النشاط والقوة والطرافة .

دمشق عبد الغني العطري

يوسف أسعد داغر عالم مات وقلم البحث في يده

بقلم الدكتور محسن جمال الدين

* * *

في عام ١٩٤٩ وكانت الحياة في لبنان الشقيق تسير سيرا متفاوتا بين الجمود والحركة ، وبين الحرية والمحافظة ، وبين التطلع نحو الشرق العربي ، والرجوع الى الصلات التي تربط لبنان بالغرب .

كانت الثقافة العربية اللبنانية في حيرة من امرها ، فهي لم تستقر على نهج واحد ، ولا خط واضح . بعض اصحابها ودعاتها يريدون ان يتحرر لبنان من كل ما له صلة بالغرب ، وان يضع كل ما لديه من امكانيات في تعريب المنهج والدراسات الغربية ، وان يسعى في نقلها الى اللغة العربية .

بينما اخذت افكار المعارضين تنشط في عودة السفينة الى مراسيها الاولى ، وان لا تبحر صوب البحار العربية وموانئها المفتوحة لاستقبال الاخوة الاشقاء .

وكانت هناك طبقة من المثقفين اللبنانيين قد تميزوا بالمحايدة . فلا هم اصحاب الفكرة العربيـة الشرقيـة الخالصة ولا هم بذوي النزعة الغربية الاوروبية المتحمسة لانهم على قاعدة القول المشهور : (خذ الحكمة من اي وعاء خرجت) .

وكان من جملة اولئك المثقفين العاملين في حقل المعرفة الانسانية العصرية المرحوم الصديق الاستاذ الدكتور يوسف اسعد داغر (١٨٩٧ — ١٩٨١ م) . الذي تثقف بالثقافة اللبنانية العربية القروية وكان يرحمه الله — محبا للغة العربية وتراثها الغني المعطاء ، ومعتزا بلبنانيته وما فيها من عبقريات ونبوغ في الوطن والمهاجر متمسكا بدينه وعقيدته ، مترجما لعدد كبير من ابناء وطنه الكريم في كتبه (مصادر الدراسة الادبية) ما بين ١٨٠٠ — ١٩٧٢ م .

قال : « قد يستكثر البعض ممن ضاقت صدورهم وازورت نياتهم مستعظمين النسبة العالية التي تصيب لبنان من بين الادباء والمفكرين الذين ترجمنا لهم في هذا الجزء من (مصادر الدراسة الادبية) فيرموننا بالعصبية الاقليمية الضيقة والاثرة وبالمحاباة والخروج عن الصدد » .

واردف قائلا :

« وقد فات هذا البعض على ما يبدو معرفة تاريخ النهضة الادبية والفكرية والعلمية في هذا الشرق العربي ، كما جهلوا او تجاهلوا الدور القيادي الذي لعبه اللبنانيون في حركة البعث الادبي ، في العالم العربي » .

ثم قال :

« لقد سار اللبنانيون في طليعة المفكرين العرب في هذا كله ، وامدوا الاقطار العربية في مجالات القومية ، وفي مجالات الادب ، والفن ، والعلم ، والصحافة ، والتاريخ والجغرافيا ، والمسرح ، والطباعة ، والتربية والتعليم ، والفهرسة العلمية ، وغير ذلك من النشاطات الفكرية » .

ان المنهجية العلمية التي سار عليها المرحوم الدكتور يوسف اسعد داغر ، هي منهجية العلم الاوروبي المتطور الذي درسه وعاشه يوم ان كان طالبا في (باريس) يدرس اللغة والادب والتوثيق لمدة سنتين . وعند عودته الى بلده العزيز سنة ١٩٣١ ، قرر ان يعمل عملا نافعا لابناء العربية .

قال : « لقد عقدنا العزم على ان نقوم لدى عودتنا الى الوطن ببعض الشيء في سبيل لغتنا المباركة وآدابنا الغنية ، وهي آداب وافرة المحصول ، ضخمة الانتاج بين طارف وتليد » .

اما عن كيفية خدمة هذه اللغة الاصلية ، وما فيها من ثروة كامنة . فقد اختط لنفسه منهجا علميا . وهو ان يضع لها (فهارس ميسرة على النمط الغربي) . وصرف في ذلك كما قال — رحمه الله — عشرين سنة ما بين ١٩٣١ — ١٩٥٠ م يوم ان اصدر الجزء الاول من كتابه الموسوعي (مصادر الدراسة الادبية) .

لقد وجد الدكتور داغر ، أن ابناء الغرب تقدموا على ابناء الشرق بالترتيب ، والدراسة العلمية مع النظرية ، وعدم الالتفات الى التقليد الميت . بل الاخذ بالتطور العلمي والنواحي العملية .

لقد وجد ان الطالب هناك يحمل الشهادة الجامعية وهو واقف على قدميه امام مشاكل الحياة ومصاعبها ، وانه يطبق النظريات بالعمليات . ويعيش في مختلف الاوضاع والبيئات . وان سر تلك القوة الحاصلة لدى المتخرجين والمثقفين والدارسين والعاملين في محيط الغرب انما يكمن في الاسرة ، والمدرسة ، والاستاذ ، ومعرفة المنهج العلمي السليم ، وطرق البحث العصرية ، والافادة من قيمة الوقت ، الذي يهدر في بيئاتنا الشرقية والعربية .

لقد بهر الغرب الاستاذ داغر ، بما فيه من كثرة النوادي والمكتبات والمجامع والمعارض والفهارس والادلة ، والبرامج واللوائح . « كل هذا تشويقا للطامع بالمعرفة البشرية ، الطامح الى استجلاء آفاقها ، واستكناه مكنوناتها » .

لقد اعطى الدكتور يوسف داغر ، الاهمية الكبرى للمكتبة ولامناء المكتبات . فقد وصف عمل (المكتبة)

بقوله : « ان عمل المكتبة هو في الدرجة الاولى عمل ثقافي تربوي عظيم الاثر جليل الحظ ، اذ القصد منه امداد الزوار واهل البحث بأصول المعرفة عن طريق المصادر العلمية والاستعلامات » .

اما عن القائم عليها ، فقد وصفه بقوله : « بأنه معلم ، ومرب ، ومرشد ، ودليل الى مواطن العلم ، يهبط بالطالب الى حياضه النضرة ممسكا بيده برفق ولين » .

★ ★ ★

ان اهم ما قام به الاستاذ المرحوم الدكتور يوسف اسعد داغر ، هو انه يسر المعلومات المبعثرة عن الشخصيات والمواضيع المتناثرة في بطون المجلات والصحف والمصادر والمراجع المختلفة زمنا ومادة . وقدمها مرتبة سهلة لينة ناضجة للباحثين والدارسين بحيث انك اذا اردت معرفة دقيقة عن اهم الكتاب والادباء والعلماء والشعراء العرب في ماضي قرونهم ، او في دنيا حاضرهم ، ترجع الى مؤلفاته النفيسة . ومن اهمها مجلدات (مصادر الدراسه الادبية) وهي :

الكتاب الاول

الذي صدر عام ١٩٥٠ في لبنان - وهو يتناول مناهج التعليم الرسمية في لبنان ، سوريا ، العراق ، مصر .

من العصر الجاهلي ، الى عصر النهضة . وطريقته العلمية تسير على النهج الاتي :

١ - اسم الشاعر او الاديب وسيرته .

٢ - سنة ولادته - ووفاته بالهجرية والميلادية .

٣ - الاصول القديمة التي تناولته باجزائها وصفحاتها وطبعاتها .

٤ - الكتب التي ضمت فيها بعض الابحاث عنه .

٥ - مؤلفات تناولته بالبحث .

٦ - مقالات المجلات العربية .

هذا وقد احتوى الكتاب على ١٠٠ ترجمة .

الكتاب الثاني

من هذه السلسلة هو الفكر العربي الحديث في سير اعلامه الراحلين ما بين سنة (١٨٠٠ - ١٩٥٥) وقد ضم بين صفحاته ٢٠٦ تراجم .

وطريقته في هذا الكتاب تختلف عن الكتاب الاول . فهو احيانا يؤرخ حياة الكاتب او الشاعر بالايام والاشهر والسنين ، ولادة ووفاة ، ان وجدها . ويجعل خطته على الصورة التالية :

١ - من هو ؟ صفات وخصالا واوصافا وثقافة وعلما وادبا .

٢ - مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة .

٣ - مصادر ومراجع عنه .

٤ - مقالات المجلات العربية .

٥ - كتب خاصة به .

٦ - كتب تناولته بالبحث .

وقد طبع الكتاب في لبنان ، ونشرته جمعية (اهل القلم) في لبنان سنة ١٩٥٦ وكان الاستاذ داغر احد اعضاء مجلس ادارتها .

ومما ورد في مقدمته قوله :

« حاولنا في تركيز شخصية الاديب الذي نترجم له تعيين ما برز من صفاته وخصاله واوصافه ومناقبه وعلاقاته بمجتمعه ، والصلات التي ربطته بمعاصريه والعوامل الحضارية ، والتيارات الثقافية والادبية والعلمية والسياسية والفنية والدينية التي انطبع بها وتفاعل معها. ثم ذكرنا بشيء من التفصيل مراحل حياته البارزة والصوى التي قطعها في تحصيله واهم الاعمال التي ميزت مختلف اطوار حياته » .

واستمر يقول :

« وهذا الفهرس هو الاول من نوعه واكمل ما يظهر من هذه الفهارس على الاطلاق في هذا العصر ، في العالم العربي والغربي ، يعطي جدولا كاملا باسماء الكتب التي وضعها اعلام الفكر العربي ممن ترجمنا لهم في تضاعيف هذا الكتاب او كانت مصدرا من المصادر الاولية لدراستهم دراسة علمية » .

وقد اشار الاستاذ داغر بانه اغفل دراسات المستشرقين وابحاثهم المتعلقة بالشخصيات الادبية والعلمية التي ضمتها موسوعته الكبيرة والتي تجاوزت اعدادها ١٠،٠٠٠ مصدر اذ وعد باصدار مجلد خاص بها .

وقد كان يطمح الى اصدار اجزاء من هذه المعلمة تتعلق بالمرأة العربية وكبار المستشرقين والفنون الادبية العامة من نقد ، وصحافة ، وقصة وغيرها .. وهو في كل هذا لم ينس شريكة حياته السيدة الفاضلة (ام فؤاد) اذ اهداها كتابه « اعترافا بعميم فضلها ، وبالغ اثرها ».

الكتاب الثالث

وهو عن الفكر العربي الحديث في سير اعلامه، وصدر بقسمين وضم تراجم المشاهير من رجال الفكر العربي في اغلب اقطار الوطن العربي من محيطه الى خليجه ما بين سنة (١٨٠٠ - ١٩٧٢) وهذا الكتاب كان قد صدر من منشورات (الجامعة اللبنانية) واحتوى على ٥٤٠ ترجمة . وقد ذكر عن عملية الانتقاء التي قام بها في تأليف كتابه هذا فقال :

« وعملية الاصطفاء التي قمنا بها لهذه الدراسات لم تأت اعتباطا ، ولم نرتجلها ارتجالا . فنحن ندرس ونقب وننخل ونحقق ، ونستقرىء ونغربل ، كتب النقد وآراء الناقدين للكتب التي تلفظها المطابع يوما بعد يوم في جميع انحاء العالم العربي . ولم يكن لشعورنا او لميلنا الشخصي اي دور في عملية الانتقاء هذه فاقتصر عملنا منها على ما فرض نفسه بنفسه » .

وللاستاذ المرحوم الدكتور داغر كتاب قيم وهو (فهارس المكتبة العربية في الخافقين) الذي نشره في لبنان

سنة ١٩٤٧ .

وقد تناول فيه فهارس المكتبة العربيـة في الشرق بقسم المطبوعات ، وقسم المخطوطات ، في خزائن الوطن العربي ، والعالم الاوربي اضافة الى بحث عن الاستشراق وابرز رجاله، وفهارس المجلات الاستشراقية. مع الاشارة الى اسماء الصحافيين والكتبيين والمستشرقين . وجعل من أبحاثه الجديدة باب المحفوظات الشرقية ـ مع ذكر فهارس الاداب العالمية .

آخر مؤلفاته المطبوعة

اصدرت له وزارة الاعلام العراقية ببغداد عام ١٩٧٨ آخر مؤلفاته المطبوعة وهو كتاب (معجم المسرحيات العربيـة والمعربة ١٨٤٨ ـ ١٩٧٥) .

وقد احتوى على اسماء ٣٦٠٠ مسرحية عربية او معربة ظهرت في مختلف اقطار العالم العربي . كما تحدث فيه المؤلف عن النواحي المسرحية التالية :

١ ـ فهارس المسرح العربي .
٢ ـ معلومات حول مسرح خيال الظل .
٣ ـ جولة حول تاريخ المسرح العربي في الوطـن العربي .
٤ ـ شروط التأليف المسرحي .
٥ ـ المسرحيات العربية مرتبة عناوينها قاموسيا .
٦ ـ فهرس اعلام المؤلفين والمترجمين .
٧ ـ فهرس المسرحيات العربية ـ النثرية والشعرية
٨ ـ فهرس الاجواق والفرق التمثيلية والمسارح في الوطن العربي .
٩ ـ فهرس كواكب المسارح التمثيلية من ممثلين وممثلات .
١٠ ـ فهرس المجلات العربية التي استقى منهـا مراجعه .

اما مقدمة كتابه هذا فقد جاءت استعراضا لما قام به وسعى اليه من جمع المتفرق ، وترتيب المجمع ، مـع شكره وتقديره لمن أسهم معه في اعداد الفهارس والمـواد المشتمل عليها الكتاب .

ولم ينس توجيه التقدير الى وزارة الثقافة والفنون في الجمهورية العراقية التي قامت بنشر معجمه النافع .

هذا وقد تركنا تحليل مؤلفاته الاخرى الى مجال آخـر وفرصة مناسبة .

نشاطه العلمي وسياحاته وصلاته

لقد كان الاستاذ يوسف اسعد داغر نشيطـا ـ ساح في اغلب البلاد العربية ـ منهـا العراق ، مصر ، سوريا ، السودان ، ليبيا ، المغرب ، الكويت .

وسافر الى الولايات المتحدة حيث يعيش بعض ابنائه الاطباء هناك . ولقد اشتغل في تنظيم عدة مكتبات شرقية واوروبية واميركية . وافادت المجامع والجامعات مـن خبرته العلمية في عالم التوثيق والفهرسة والمخطوطـات والتراجم . كما كانت له صلات علمية واخوية بكبـار النقاد ، والعلماء ، والادباء في الوطن العربي .

كان عاملا محبا مخلصا لعمله . تعارفت معه سنـة ١٩٤٩ وهو في منصب امين دار الكتب اللبنانية . وجدته رجلا طوالا ابيض البشرة ، اشقر الشعر ، بهي الطلعة ، دائم البسمة . له عينان خضراوان حادتان ، وجسم ريفي متين يحمل طابع ابناء القرية اللبنانية التي وصفها الناقد الساخر المرحوم الاستاذ مارون عبود في كتاباته ومؤلفاته الطريفة .

لقد كان يوسف اسعد داغر يمتلك جسما شامخا ، وروحا قوية ، لا تعرف المهادنة مع الكسل . ولا تلتفت يوما الى التعب ، فهو يسخر من قوة الشبـاب اليوم ، ويعتبرها قوة لا تقاوم المرض والنصب . بينما هو ظل كالسنديانة الجبلية القوية التي تهزأ ببرد الشتاء، وبحرارة الصيف ، وبريح الخريف ، وتظل مورقة دائمة الخضرة كأيام الربيع .

ان متانة قوته كانت مستمدة من متانة قوة الجبل اللبناني ، الذي يلتفت الى عواصف الاحـداث ، ويهـزأ بقوى التحدي .

اما كيف انهد هذا الجبل الشامخ ، من القـوة ، والارادة ، والصبر ، والمثابرة ، والسهر ، والنشـاط ، فهو يعود الى ما اصاب نفسه من الالم ، وروحه مـن التوجع ، على وطنه لبنان . فهاجر الى الولايات المتحدة في (ميرلاند) ثم عاد اليه يتوسد تربته الزكية . وقـد وصف لي باحدى رسائله العزيزة ما حل به وبـداره وبالسيدة المحترمة زوجته (ام فؤاد) ، يوم ان هاجمتهم عصابة سالبة ناهبة ساخرة بالقيم والعلم والاخـلاق ، وبالكرامة وحرمة البيوت ، واحترام الافاضل والعلماء ، الذين لا يملكون في دنياهم الا الكتاب والقلم والقرطاس ، ومحبة البحث ، وخدمة الفكر الانساني في جميع ميادينه ، ومختلف عصوره . ولا اتجاوز الحقيقة ان قلت ان موت المرحوم الاستاذ داغر كان سببه (الهم) الذي اصابه لما حل به وبأهله وداره ، وما يجري في ساحات بلده الكريم لبنان مما يدمي القلوب ، ويهز المشاعر ، ويجري الدموع!! ورحم اللـه شاعر العروبة ابا الطيب المتنبي في حديثه عن (الهم) بقوله :

والهم يخترم الجسيم نحافة ... ويشيب ناصية الصبي ويهـرم

* * *

كانت له مراسلات اخوية مع اغلب العراقيين الافاضل امثال الاستاذين كوركيس عواد وميخائيل عواد، والدكتور علي جواد الطاهر ونخبة من الادباء والعلماء في البـلاد

العربية الاخرى . كما له صلات ودية وعلمية مع اغلب المستشرقين ، وامناء المكتبات في دنيا المشارق والمغارب من صفوة المفهرسين والوثائقيين عربا كانوا ام اجانب مستعربين . ومع المعاهد والمجامع والاندية العلمية في الشرق الاوسط ، او في جامعات فرنسة وانكلترة واسبانيا ، واميركا ، وغيرها من دول العالم .

واشاد بفضله وعرف بمؤلفاته عدد من الكتاب المؤلفين والادباء العرب ، وثمنوا جهوده العظيمة في حقل المكتبات والفهرسة والتوثيق العلمي ، حيث انه كان من رواده والداعين اليه والمحبين له ، والمتحمسين لاعداد جيل عربي طالع ، يحمل الاختصاص والشهادات العلمية فيه ، من معاهد عالية ، تعد وتحضر نخبة من الشباب للغد القريب ، المتجدد المتطور .

★ ★ ★

اننا اذ نفقد الان الاخ الصديق المحبب الى النفوس، العامل في سبيل المنهجية العلمية ، وطرائق البحث الحديث الاستاذ الدكتور يوسف اسعد داغر ، انما نفقد رجلا كانت له اياد غر مشرقة في امداد الباحثين والمؤلفين والادباء والكتاب والصحفيين بما يحتاجونه من غذاء المعرفة ، وطعام الروح . واننا لنرجو ان تطبع مؤلفاته ، وتحفظ مكتبته من الضياع ، وتعلق صورته في دار الكتب الوطنية اللبنانية بجوار استاذه المرحوم العلامة فيليب دي طرازي والعلماء الذين احبهم وترجم لهم وعرف بمقامهم العلمي ، وكشف الغبار عن اسماء مؤلفاتهم ، وبين مضامينها ومظانها .

ولا ادري هل ان وزارة التربية اللبنانية تبخل على المرحوم داغر بهذه الالتفاتة المتواضعة والتقدير الواجب والتكريم المستحق ؟!

واختم هذه التحية العطرة لروحه السمحة الطيبة وهي زهرة من ازاهير مودته وتكريمه لي يوم عودتي من انهاء دراستي الجامعية في اسبانيا سنة ١٩٥٨ ورجوعي للوطن الغالي العراق قائلا له : انك لن تموت يا (ابا فؤاد)، ما دامت آثارك العلمية باقية ، وما دام عملك النافع يمد اهل البحث والعلم بكل ما هو جدير بالاعجاب والتقدير .

اما انتم يا اهل الفقيد الكريم ، ويا اخوته واحبابه، فلكم ما تعتزون به من آثاره المطبوعة ، والمخطوطة التي تبعث الافتخار في النفس والخلود في الحياة .

من آثاره المطبوعة والمخطوطة

عندما صدر اول كتاب للدكتور يوسف داغر واطلع عليه المؤرخ اللبناني المهاجر الاستاذ العلامة المرحوم فيليب حتي في جامعة برنستون الاميركية قال فيه :

« انها اوسع محاولة علمية في الشرق لتنسيق النتاج الفكري العربي يقوم بها فرد مستقل » . ودعا الدول العربية والهيئات الثقافية « ان تتبنى هذا المشروع الفذ لاتخاذ الوسائل التي تؤمن نشره والانتفاع به » .

الف الدكتور الفقيد داغر باللغة العربية والفرنسية العديد من الكتب ، في باب الفهارس والمعاجم ، منذ عام ١٩٣٧ . ومن هذه الاثار المطبوعة والمترجمة :

١ ــ قاموس فرنسي ــ عربي .
٢ ــ فهارس المكتبة العربية في الخافقين .
٣ ــ دليل الاعارب الى علم الكتب والمكاتب .
٤ ــ مصادر الدراسة الادبية في اربعة مجلدات .
٥ ــ تاريخ الحضارات العام في سبعة مجلدات .
٦ ــ معجم الصحافة اللبنانية .
٧ ــ معجم المسرحيات العربية والمعربة .

اضافة الى الكتب التي اعدها للطبع منها :

٨ ــ الادباء والمفكرون الاحياء في العالم العربي اليوم في ثمانية اجزاء .
٩ ــ الادب النسائي في لبنان .
١٠ ــ التراث اللبناني في اجزاء متعددة وفي لغات مختلفة .
١١ ــ فهرس الكتب العربية المترجمة عن اللغات الاجنبية .
١٢ ــ تاريخ الاسلام المسلسل بالعربية والفرنسية .
١٣ ــ تاريخ الكنيسة المسلسل .
١٤ ــ تاريخ العالم المسلسل .
١٥ ــ معجم الاختراعات والاكتشافات العلمية عبر الاجيال مرتبة على الحروف الهجائية مع ذكر الاختراع او الاكتشاف ومخترعه ، وتاريخ الاختراع وجنسية المخترع .

الى غير هذا من المواد والموضوعات الجديدة المفهرسة المنظمة التي تغني اصحاب البحث والدراسة عن التنقيب والتنقل واضاعة الوقت في تقليب الصفحات ، او مراجعة الكتب والصحف والمجلات .

لله من جهود عظيمة ! ومن نفس كانت صابرة عالمة عاملة !

اهم المصادر والمراجع

(١) مصادر الدراسة الادبية ــ الجزء الاول ــ صيدا ــ لبنان ١٩٥٠ .
(٢) مصادر الدراسة الادبية الجزء الثاني ــ بيروت لبنان ١٩٥٦ .
(٣) مصادر الدراسة الادبية الجزء الثالث ــ بيروت لبنان ١٩٧٢ .
(٤) فهارس المكتبة العربية في الخافقين ــ بيروت لبنان ١٩٤٧ .
(٥) معجم المسرحيات العربية والمعربة ــ بغداد العراق ١٩٧٨ .
(٦) مجلة الاديب في بعض سنواتها المتفرقة .
(٧) رسائل اخوية بيني وبينه .
(٨) انطباعاتي الشخصية .

جامعة بغداد ــ كلية الاداب

محسن جمال الدين



الدكتور احمد الحفناوي

من حواضر الاسلام :

مدينة القيروان

بقلم الدكتور احمد الحفناوي

مدرس التاريخ الاسلامي في جامعة المنوفية

* * *

يعتبر عقبة بن نافع الفهري من اكابر التابعين وافاضلهم ، وقد اشترك في حملة عمرو بن العاص على مصر ، وكان عمرو يقدر بلاءه ويرفع منزلته ، ويثق في كفايته الحربية ، ولذلك عهد اليه بفتح المناطق الداخلية من اقليم برقة ، فنجح في افتتاح فزان وزويلة ، واصبح ما بين برقـة وزويلة ملكا للمسلمين ، وقبل ان يعود عمرو الى مصر تركه اميرا على برقة وطرابلس ، فظل عقبة مقيما ببرقـة حتى سنة ٢٨ هـ (٢) عندما قابل عبد الله بن سعد عند قدومه الى برقة في طريقه لغزو افريقية ، ولكنه ــ اي عقبة ــ لم يشترك مع عبد الله بن سعد في حملته هذه ، وفضل البقاء في برقة ليراقب اهالي هذه البلاد ويؤمن مؤخرة الجيش من اي هجوم يقوم به الروم او الافارقة ..

ولا شك ان عقبة اكتسب خلال هذه السنين التي قضاها في برقة خبرات افريقية واسعة نتجت عن تجاربه الكثيرة في محاربة البربر واحتكاكه بسكان البلاد ، وقد كسب الاسلام بجهوده مكسبا كبيرا : فقد كان قوي الايمان بدينه ، شديد الحماسة لنشره ، وكان لذلك اعمق الاثر في فتح برقة حيث لم تفتح حربيا فحسب ، ولكنها فتحت دينيا ايضا ، وانتقل سكانها الى الاسلام . واستطاع عقبة بفضل سعيه الى الاستشهاد في سبيل الله ان يكون لنفسه اسطور دينية عاشت منذ الفتح العربي لهذه البلاد حتى عصرنا الحاضر .

ولما عزل معاوية بن ابي سفيان معاوية بن حديج عن ولاية افريقية ، استعمل عليها عقبة بن نافع ، وسير اليه عشرة آلاف فارس دخل بهم افريقية من برقة وانضم اليه من اسلم من البربر فكثر جيشه وازداد جمعه .

على ان استعمال عقبة على افريقية سنة ٥٠ هـ ــ على ارجح الاقوال ــ لم يتم الا بعد ان غزا بأهل مصر الروم في البحر سنة ٤٩ هـ وكان معاوية بن حديج قد عاد الى مصر بعد ان ترك بسرت فرقة من الجيش المصري لدعم النفوذ الاسلامي في طرابلس ، وقد استخدمهم عقبة معه في تلك الحملة البحرية ، واشترك معه من التابعين : ابو عقيل زهرة بن معبد التميمي وابو عبد الرحمن الحبلي واسماعيل بن عبيد الله وابو ليلى دجين بن عامر الحجري الذي شهد حروب عقبة كلها في افريقية والمغرب .

وقد اوضحت رواية ابن عبد الحكم خط السير الذي اتخذه عقبة بجيشه الى افريقية ، فذكرت : « ان عقبة جانب الطريق الاعظم واخذ الى ارض مزاته ، فافتتح كل قصر بها ، ثم مضى الى صفر فافتتح قلاعها وقصورها ، ثم بعث خيلا الى غدامس ، فلما انصرفت اليه خيله سار الى قفصة فافتتحها وافتتح قصطيلة .

ويبدو ان عقبة تجنب السير في الطريق الساحلية التي تربط سرت بقابس لكثرة الحصون في هذه المنطقة مما سيؤدي بالطبع الى اعاقة مهمته الى جانب انه اراد ان يباغت الافارقة باقتحامه بلادهم قادما من داخل الصحراء قبل تهيئتهم لدفعه ومقاومته ، « ويعتقد ان السبب الاخير هو الذي دفعه الى التزام الطريق الداخلية » (٣) .

وقد رأى عقبة لضمان استمرار فتح هذه البلاد على العرب ضرورة انشاء قاعدة عربية اسلامية فيها يكون بها عسكرهم واهلهم واموالهم وفي ذلك ينسب ابن عذارى الى عقبة قوله : « ان افريقية اذا دخلها امام اجابوه الى الاسلام ، فاذا خرج منها رجع من كان اجاب منهم لدين الله الى الكفر ، فأرى لكم يا معشر المسلمين ان تتخذوا بها مدينة تكون عزا للاسلام الى آخر الدهر (٤) .

وقد سبقه الى هذه الفكرة معاوية بن حديج الذي

سبق ان اختط القيروان بموضع يعرف بالقرن ، ولما رآه عقبة لم يعجبه (٥) .

اما المالكي فقد ذكر ان معاوية بن حديج اختط مدينة عند القرن قبل تأسيس عقبة للقيروان ، واقام بها مدة اقامته في افريقية (٦) .

ويغلب على الظن ان عقبة عدل عن اتخاذ قيروان ابن حديج (او مدينة ابن حديج) لانها في موضع غير مأهول ولا معمور ويبدو ان ابن حديج اختار لمدينته هذا المكان لقربه من البحر حتى يتيسر للمسلمين الجهاد ، وقد غزا بالفعل صقلية ، اما عقبة فقد كان لهرأي مختلف ، وهو ان تكون قاعدة المسلمين في افريقية مدينة برية حماية لها من اساطيل الروم وحتى يمكنهم (اي المسلمين) التأهب لمدافعة الغزاة لو ان قاعدتهم في الداخل ، وهكذا كان موقع القيروان يمتاز ببعده عن البحر ... كذلك كان يمتاز بكثرة مراعيه ... وهما صفتان لا بد من توافرهما في بناء المدن (٧) .

ولقد تأثر عقبة في اختياره لموقع القيروان بما تعرضت له الاسكندرية سنة ٢٥ هـ من نكبات بسبب الغزو البيزنطي لها من البحر وكان ما يزال يتذكر الجهد الكبير الذي بذله عمرو بن العاص لاستردادها ، وليس بغريب ان يكون لذلك الحادث اثره العميق في اختيار عقبة لموقع القيروان ، فقد كان واحدا من قواد عمرو ثم انه كانت تربطه به صلة قرابة (٨) .. وان كان يؤخذ عليه انه في اختياره لموقع قيروانه لم يراع الا البعد عن البحر وتوافر المراعي دون ان يتنبه الى امر هام هو الماء والمزارع .. مما ادى الى تعرض القيروان للخراب اكثر من مرة .. ولولا صفتها الدينية ووجود مسجدها الجامع لكانت قد بادت واندثرت (٩) .

ذكر ابن عبد الحكم : ان عقبة ركب والناس معه حتى اتى موضع القيروان اليوم ، وكان واديا كثير الشجر، كثير القطف ، تأوي اليه الوحوش والسباع والهوام ، ثم نادى بأعلى صوته : يا اهل الوادي ارتحلوا رحمكم الله فانا نازلون ، نادى بذلك ثلاثة ايام فلم يبق من السباع شيء ولا الوحوش والهوام الا خرج ، وامر الناس بالتنقية والخطط ونقل الناس من الموضع الذي كان معاوية بن حديج نزله الى مكان القيروان اليوم وركز رمحه وقال هذا قيروانكم .. كما يذكر رواية اخرى تقول : انه نادى ثلاث مرات بدلا من ثلاثة ايام (١٠) ، ولم يخرج عن المؤرخين في الاخذ بهذه الرواية — مع بعض التحريف — الا المالكي الذي ذكر انه : « كان في موضع القيروان حصن لطيف للروم يسمى قمونية ، وكان فيها كنيسة وفيها الساريتان الحمراوان اللتان هما اليوم في المسجد الجامع .. كانت **عليهما حنيتان مبنيتان اقامتا الى ايام زيادة الله بن الاغلب فهدمهما زيادة الله وحملهما الى المسجد الجامع ، فجعلهما في المكان الذي هما فيه اليوم** » (١١) .

اما الواقدي فقد ذكر : ان موضع القيروان كان كثير الاشجار فاقترح اصحاب عقبة عليه ان يحرقوه بالنار ويبنوا فيه المدينة فقال لهم : يا قوم ، ان الوحوش والهوام ودواب الارض كثيرة بهذا المكان واخاف ان احرقها بالنار فيحاسبني الله عز وجل عليها ، ولكن اذا كان آخر النهار انادي في الموضع بأعلى صوتي : ايتها الوحوش الساكنة في هذا المكان ارحلي منه فاني اريد حرق اشجاره بالنار لان المسلمين يريدون ان يبنوا فيه بلدة لتستقر فيها رحالهم ونساؤهم وفي آخر النهار نادى عقبة رضي الله عنه في الوحوش بالارتحال فما اتم النداء حتى رفعت الوحوش اولادها في افواهها من غزلان وذئاب ونمور وغيرها ، وبقي ينتظر خروجها مدة ثلاثة ايام لم يكن داب الناس فيها الا الفرجة واللعب ، فلما كان اليوم الرابع امر بالنار فاطلقت فأكلت الاشجار عن آخرها (١٢) .

وقد ذكر بعض الباحثين : ان خروج الوحوش والهوام جاء نتيجة للحريق الذي اطلق في الموضع لتنظيفه من الاشجار قبل البناء .. وان هذا امر طبيعي يحدث عندما تلتهم النيران بعض الغابات ، فتفزع حيواناتها ، وقد يفر بعضها وهو مشتعل فيتسبب في زيادة الرقعة المنكوبة بالحريق وهذا ما نظنه تفسيرا مقبولا لاصل الاسطورة (١٣) .

ولا شك في اننا نؤيد هذا الراي اعتمادا على ما ذكره الواقدي وايضا ما ذكره ابن الاثير وابن عذارى (١٤).

اتم المسلمون تنقية الموضع من الاشجار وشرع عقبة في اختطاط دار الامارة والمسجد الجامع ، ولكن لم يقم به اي بناء .. وكان يصلي في ارضه دون ان يكون قد اقيمت فيه جدران ، وقد اختلف الناس في تحديد الاتجاه الصحيح للقبلة ، باعتباره اول المساجد الجامعة في هذا القطر المفتوح ، وباعتبار قبلته الانموذج الذي يمكن ان تحتذيه سائر محاريب المساجد الجامعة في بلاد افريقية :

« فاقاموا اياما ينظرون الى مطالع الشتاء والصيف من النجوم ومشارق الشمس ، فلما رأى امرهم قد اختلف بات مغموما ، فدعا الله عز وجل ان يفرج عنه ، فأتاه آت في منامه فقال له : اذا اصبحت فخذ اللواء في يدك واجعله على عنقك ، فانك تسمع بين يديك تكبيرا لا يسمعه احد من المسلمين غيرك ، فانظر الموضع الذي ينقطع فيه التكبير فهو قبلتك ومحرابك ، وقد رضي الله لك امر هذا العسكر وهذا المسجد وهذه المدينة وسوف يعز الله بها دينه ، ويذل بها من كفر به ، فاستيقظ من منامه وهو جزع فتوضأ للصلاة واخذ يصلي وهو في المسجد ومعه اشراف الناس ، فلما انفجر الصبح وصلى ركعتي الصبح بالمسلمين اذا بالتكبير بين يديه ، فقال لمن حوله : اتسمعون ما اسمع؟ فقالوا : لا فعلم ان الامر من عند الله فأخذ اللواء فوضعه على عنقه واقبل يتبع التكبير حتى وصل الى موضع المحراب ، فانقطع التكبير فركز لواءه ، وقال : هذا

محرابكم ، فاقتدى به سائر مساجد المدينة (١٥) .

وهكذا يحاط تركيز القبلة على يدي عقبة بما يشبه الاساطير ، وبحسم الموقف ازاء تحديد القبلة ، اقبل المسلمون على بناء المسجد الجامع وعلى تشييد دورهم ومساكنهم بالقيروان ، وقد ذكر المالكي : « ان اسماعيل ابن عبيد الانصاري وعبد الله بن الزبير وابو عبد الله علي بن رباح وابو رشيد حنش وزياد بن انعم السفياني قد ساهموا في بناء المسجد الجامع ، واسسوا دورا ومساجد نسبت اليهم (١٦) .

امتلأت القيروان بالعديد من المنشآت وشد الناس اليها الرحال وانتجعوها من كل مكان ، واتسعت بالاسواق والمرافق ودامت حركة البناء فيها نحو خمس سنوات ، فاكتملت عمارتها سنة ٥٥ هـ ، وبلغ عدد دورها في ذلك الوقت نحوا من ثلاثة عشر الفا على ما يقول ـ ابن عذارى ـ وهو قو لمبالغ فيه .. وكانت المدينة في بداية نشأتها قاعدة حربية ومركزا توجه منه الغزوات الى المناطق المواجهة لها .. وكان عقبة اثناء عمارته لها يغزو السرايا ، ودخل الكثير من البربر في الاسلام واتسعت خطة المسلمين وامنوا واطمأنوا على المقام فثبت الاسلام فيها (١٧) .

وكانت القيروان مسورة بسور من اللبن هدم زمن زيادة الله بن الاغلب ، واقيم عليها سور تراب بعد ذلك ..

وقدر للقيروان ان تصبح حاضرة المغرب الاسلامي كله في عصر الخلافة الاموية .. الى ان انشئت فيه امارات مستقلة في ظل خلافة بني العباس .. فكانت في هذه الفترة : « اعظم مدينة بالمغرب واكثرها تجارة واموالا واحسنها منازل واسواقا ، وكان فيها ديوان جميع المغرب واليها تجبى اموالها وبها دار سلطانها (١٨) .

وقد وصفها الادريسي في القرن الخامس الهجري بقوله : « ومدينة القيروان ام امصار وقاعدة اقطار واعظم مدن المغرب قطرا واكثرها بشرا وجباية وانفقها سلعة وانماها ربحا واجهرهم عصيانا (١٩) .

لقد كان لتأسيس القيروان اثره في ظهور افريقية كولاية من اهم ولايات الدولة العربية الاسلامية ، فتطلعت اليها انظار الطامعين في ولايتها .

واذا كانت القيروان مدينة بنشأتها الى عقبة بن نافع ، فان هشام بن عبد الملك الاموي يرجع اليه الفضل في وضع نظام مبانيها .

وعلى مر الايام تطورت حركة العمران في القيروان تطورا ملحوظا ، واصبحت بعد اعوام اهم مدن المغرب وتحولت الى حاضرة سياسية هامة ، بلغت اوجها الحضاري حين كانت عاصمة لثلاث دول من اشهر دول المغرب العربي في القرون الوسطى : دولة الاغالبة ، ودولة الفاطميين ، ودولة الصنهاجيين ، ولم يمض وقت طويل حتى اتسعت المدينة فبلغت مساحتها نحوا من ١٣٦٠٠ ذراع ، ثم عني بها امراء الاغالبة الذين اتخذوها حاضرة لما استقر بهم الامر في المغرب الادنى اواخر القرن الثاني الهجري فجددوا بناء الجامع القيروان ووسعوه واقاموا به فسقية الاغالبة .

لقد كانت للقيروان ابواب كثيرة بلغت اربعة عشر بابا ـ على ما ذكر البكري الجغرافي ـ من اشهرها : باب تونس ، وباب ابي الربيع ، وباب الحديث ، وباب النخيل وباب القلالين ، وباب الامام سحنون ، وباب مسلم ، وباب الاصرم .

وتاريخ القيروان مرتبط بتاريخ مدن ثلاث اخرى شيدت في ضواحيها ، وشهدت ازدهارا لم تشهده مدن اخرى في تاريخ المغرب الاسلامي في العصور الوسطى ، وقد اندثرت آخر مدينة منها في منتصف القرن الخامس الهجري ـ اي بعد انقراض دولة الصنهاجيين ـ ولم يبق منها الا اخبارها في إسفار التاريخ وهذه المدن هي : العباسية ورقادة وصبرة (٢٠) .

وقد اعتنى بالقيروان العديد من المؤرخين والجغرافيين والرحالة يشهد ذلك هذا الثبت الحافل بأسمائهم واسماء مؤلفاتهم :

- ابن عبد الحكم المصري : فتوح مصر والمغرب .
- الاصطخري : مسالك الممالك .
- المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم .
- البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب .
- ابن حوقل : صورة الارض .
- اليعقوبي : كتاب البلدان .

انتقل الفاطميون الى مصر وتركوا المغرب لبني زيري الصنهاجيين ، وكان اول من تسلم الحكم منهم زيري بن مناد وتلاه ابو الفتوح يوسف ، ثم تبعه ابو الفتوح منصور ابن ابي الفتح يوسف ـ وكان من اذكى امراء الدولة ـ فقد بدأ يعمل على الاستقلال بالمغرب بعيدا عن نفوذ الفاطميين، وحين توفي تولى مكانه ابنه ادريس الذي كثرت في عهده الاضطرابات السياسية في المغربين الاقصى والاوسط ، مما فتح الباب امام الانقسامات التي ساعدت فيما بعد على سقوط دولة بني زيري .

وعقب وفاته سنة ٤٠٦ هـ تقلد شؤون الدولة ابنه المعز ، ولم يكن يتجاوز وقتها ثمانية اعوام ، ولما كبر رفض الدعاء للخليفة الفاطمي سنة ٤٣٧ هـ وبايع الخليفة العباسي ابا جعفر القائم بأمر الله : « ولا شك ان قطع العلاقات بين الزيريين والفاطميين كان له اثره الخطير سياسيا واقتصاديا على المغرب بوجه عام وعلى القيروان عاصمة المغرب العربي آنذاك بوجه خاص (٢١) .

ويقال : « ان المحرك الاول والمتسبب الرئيسي في هذا التخريب هو ابو محمد الحسن بنعلي اليازوري وزير الفاطميين ، والذي كان فلسطيني المولد ، فقد استغل سوء العلاقات بين المعز الصنهاجي والفاطميين ، واتصل بقبائل بني هلال التي كانت مقيمة في صعيد مصر ، ودفعهم الى الذهاب الى الشمال الافريقي واعطاهم الكثير من الاموال ووعدهم بالمساعدة وقال لهم : « سرحتكم لجواز النيل ، واعطيتكم ما يملكه ابن باديس العبد الآبق ، فخرج الهلاليون واستولوا على اكثر المدن الافريقية ، وحاصروا القيروان شهورا وافسدوا ضواحيها ، واستولوا على رقادة ، واتجهوا الى سوسة والمهدية وتونس .. وتمكنوا اخيرا من دخول القيروان وتحطيم معالمها ونهبها ومات من سكان المدينة اعداد ضخمة وفرت اعداد اخرى بعد محاولة السكان الدفاع عن مدينتهم ، وهكذا تغيرت القيروان بعد وقوعها في قبضة الهلاليين ، فأصبحت مدينة متواضعة داخل سور متهدم بعد ان كانت مركزا صناعيا هاما ومزدهرا .

ومع تلك المحن عاشت القيروان بفضل قدسيتها وتاريخها العظيم ، وبفضل ما تبقى من آثارها وفي طليعتها: المسجد الجامع الذي تعتبر مئذنته (صومعته) من اهم معالم تونس الاسلامية على ان اهم ما يشاهد اليوم في القيروان :

- مسجد ابن خيرون : ذو الثلاثة ابواب الذي يرجع تأسيسه الى القرن الثالث الهجري .
- مسجد سيدي عبيد الغرياني : الذي يرجع تأسيسه الى القرن العاشر الهجري .
- زاوية سيد الصاحب : التي شيدت على ضريح ابي زمعة الصحابي .
- فسقية الاغالبة : التي بناها ملوك بني الاغلب .
- اسواق القيروان .

---

(١) القيروان : لفظ فارسي دخل العربية ويعني مناخ القافلة وموضع اجتماع الناس في الحرب وفي اللغة مكان السلاح ومحط الجيش

(٢) ابن الاثير : اسد الغابة في معرفة الصحابة : جـ ٣ ص٤٢٠.

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب : ص ٦٤ .

(٤) د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير : جـ٢ص١٩٨.

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب في اخبار المغرب : ص ١٩ .

(٦) ابن عبد الحكم : نفس المرجع والصفحة .

(٧) المالكي : رياض النفوس: ص٦٠ - ابن خلدون: المقدمةص٣٤٧

(٨) كان عقبة ابن خالة عمرو .

(٩) د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير : جـ٢ ص٢٠٢ .

(١٠) ابن عبد الحكم : نفس المرجع : ص ٦٦ .

(١١) المالكي : نفس المصدر : ص ٢١ .

(١٢) الواقدي : فتوح افريقية : جـ ١ ص ٣٠ .

(١٣) د. سعد زغلول عبد الحميد : فتح العرب للمغرب بين الحقيقة التاريخية والاسطورة الشعبية : ص ٣٠ .

(١٤) ابن الاثير : اسد الغابة : جـ ٣ ص ٤٢١ ، ابن عذارى : نفس المصدر : جـ ١ ص ٢٠ .

(١٥) الدباغ : معالم الايمان في معرفة اهل القيروان : جـ ١ ص٩.

(١٦) المالكي : نفس المصدر : ص ٧٠، ٧٧، ٨٣ .

(١٧) ابن الاثير : الكامل : جـ ٣ ص ٢٣٥ .

(١٨) ابن حوقل : صورة الارض ص ٩٤ .

(١٩) الادريسي : صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس ص ١١٠ .

(٢٠) د. الحبيب الجبخاني : القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الاسلامية ص ٦٠ .

(٢١) د. عبد الرحمن زكي : مدائن اسلامية : ص ١٢٠ .

دكتور احمد البهي الحفناوي

قسم التاريخ - كلية التربية
جامعة المنوفية
مصر - شبين الكوم

أسماء بنت أبي بكر الصديق في تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر

بقلم سكينة الشهابي

* * *

حين نذكر الدور الكبير الذي قامت به المراة في مناصرة الدعوة الاسلامية نذكر اسماء وحين نذكر واجب الام المثالية نذكر اسماء ، وحين نذكر الزوجة المثالية التي تقاسم زوجها شظف العيش ، وتتحمل معه مسؤوليات الحياة القاسية ، وتصبر على طباعه العسرة تطالعنا صورة اسماء .

واذا كان حظ هذه المراة من الحياة مكفهرا عابسا فقد كان حظها من الخلود كبيرا ، فلم يبخسها التاريخ حقها ، ولم يضن عليها مسجلو هذا التاريخ بالمكانة التي يحق لها ان تتبوأها .

ولعل اسماء بنت ابي بكر من النساء القلائل اللواتي سطر التاريخ اسماءهن بأحرف من نور ، لقد خصها تاريخنا العربي بمكانة لا تضاهى ، واقتطع لها اسطرا واسعة في صدر صفحاته ، فلم يبق منا عربي لا يعرف اسماء ، تركزت هذه المعرفة في رؤوس الخاصة ، وتغلغلت في قلوب العامة ، وتفشى شعور غريب بين النساء : من ارادت ان تقترب من المعنى المثالي للمراة فعليها ان تتشبه بأسماء .

هذه المراة الكبيرة ترجمها ابن عساكر في تاريخه الكبير ، وهو الرجل الذي لم يكن التراث بالنسبة له كتبا قليلة يبني عليها بحثا ، لقد كان يغرف من بحر زاخر خلفته الحضارة العربية قبل ان تمتد الى هذه الحضارة يد العبث والتلف والضياع ، كانت مئات الكتب ترفده في تأليف الترجمة الواحدة ، وبقدر ما كان بحر التراث متلاطما بين يديه كان هو يحسن الغوص والانتقاء ، فحفظ لنا صفحات مشرقة ملونة من كتب لم نعد نعرف عنها سوى الاسم ، وربما ضاع اسم بعضها من دائرة معارفنا .

* * *

يعرض علينا ابن عساكر بمنهجيته المعروفة اخبار اسماء ، ويتناول مادة هذه الاخبار من كتب معروفة مألوفة ، واخرى حال بيننا وبين الوصول اليها التلف والضياع ، فكانت تقول المصنف منها بالنسبة لنا كالقطع الثمينة التي تحتفظ بها دور الآثار وهي جادة في البحث عن قطع اخرى لتضمها الى بعضها وتعيد بناء اثر مفقود تضعضعت مادته وبقيت صورته ماثلة في الاذهان .

جمع ابن عساكر اخبار اسماء من نيف وعشرين كتابا ، نصف هذا العدد من الكتب المعروفة المألوفة والباقي بعيد عن الايدي ، لانه احد اثنين : مخطوط في مكتبات بعيدة ، ومفقود لا نعلم عنه شيئا ، ونقوله من هذه الكتب المفقودة ذات اهمية كبيرة .

وكان اسلوبه في ترجمة اسماء ذلك الاسلوب الذي الفناه في التاريخ كله ، انه يعرض مادته عرضا حياديا يجمع فيه الخبر ليؤلف من ذلك فكرة يريد التعبير عنها ، ولا يطل علينا بوجهه ابدا فيما يعرض من اخبار اللهم الا ما يكون في بدء الترجمة ، فقد عودنا ان يسمي لنا المترجم ويذكر روايته : عمن روى ومن روى عنه ، ويلمح بما سيفصل في خبره من نقول .

ولعل في استعراضنا لاخبار اسماء ما يوضح لنا المنهج الذي اتبعه المصنف في هذه الترجمة خاصة وفي الترجمات عامة .

يضع ابو القاسم بين يدي الترجمة هذا التعريف بأسماء :

١ ـ « اسماء بنت عبدالله ابي بكر الصديق بي ابي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ، ذات النطاقين التيمية ، زوج الزبير ابن العوام ، وام عبد الله بن الزبير ، واخت عائشة الصديقة . وامها قتيلة بنت عبد العزي بن عبد اسعد بن نضر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ـ ويقال قتلة ـ لها صحبة ، وروت عن النبي صلى الله عليه وسلم احاديث » ، يعدد ابن عساكر بعدها اسماء من روى عنها من الصحابة والتابعين . ويذكر شهودها اليرموك .

ولو تأملنا هذه التقدمة الموجزة وقرانا اخبار اسماء في تاريخ دمشق لوجدنا لكل عبارة يسوقها في هذه التقدمة تفصيلا في اخبار تروى من طرق تكون كثيرة حين يكون للفكرة اعتبار اجتماعي او ديني ، وقليلة في غير ذلك ، فالاخبار المصدرة بأسانيدها تفصيل لما اوجز المصنف ، وبسط لهذا الالماع الذي عرضه علينا بما يشبه المقدمة .

٢ ـ يستفتح ابن عساكر نقوله من المصادر برواية اسماء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ويختار حديثا اخرجه مسلم في صحيحه ، ولكنه لا يرويه من طريق مسلم وانما من طريق البغوي ، وهذا ما سار عليه الحافظ فهو يشير الى طرق الكتب الصحيحة ويروي من غيرها ، ومن الكتب الستة يختار مسند احمد فيروي من طريقه الكثير . كان هذا الحديث الصحيح الذي اخرجه ابن

عساكر : قالت اسماء بنت ابي بكر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اني على الحوض انظر من يرد علي منكم ، وسيوجد اناس دوني فاقول : يا رب مني ومن امتي ؟ فيقول : ما شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا يرجعون على اعقابهم (١) » ، ويخرج ابن عساكر حديثا اخر من رواية اسماء تستفتى فيه في متعة الحج فتقول : قد رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها .

ولا يطيل الوقوف في مسند اسماء يكتفي من هذا المسند بثلاثة احاديث ينتقل بعدها الى شهود اسماء اليرموك .

٣ ـ وكأن شهودها اليرموك يأتي في الدرجة الثانية بعد روايتها عن النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا فان المصنف ينقل عن خليفة بن خياط ما رواه ابو واقد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهو ممن شهد اليرموك ـ قال ابو واقد : ـ « وكانت اسماء بنت ابي بكر مع زوجها في خبائها فسمعتها تقول للزبير : ان كان الرجل من العدو ليمر يسعى فتصيب قدميه عروة اطناب خبائي فيسقط على وجهه ميتا ما اصابه السلاح » .

بسبب هذا الخبر دخلت اسماء تاريخ دمشق فاليرموك قريب من دمشق والرجل يترجم كل من سكن دمشق او حلها ، او اجتاز بنواحيها .

ومثل هذه المراة القوية الشجاعة كنا نتوقع ان نسمع عن خوضها المعارك الى جانب الرجل . ولو فعلت لما صمت التاريخ ولحدثنا كما حدثنا عن نسيبة وغيرها ، ولكن اسماء لم تفعل ، وربما كان سبب احجامها غيرة الزبير الشديدة التي سيحدثنا عنها المؤرخون .

٤ ـ ويهتم ابن عساكر بتحقيق اسماء الصحابة وكناهم وانسابهم ، ويجعل ذلك في الدرجة الثالثة بعد الرواية والمشاهد ، وهكذا فان المصنف يستعرض معنا ما جمعه من اخبار اسماء مراعيا في ذلك منهجا سار عليه في التاريخ كله . وتكون جولته في نسب اسماء واسعة ونقلب معه في تفصيل هذا النسب كتبا نعرف وكتبا لا نعرف ، ونسمع في الموضوع اخبارا مليحة واشعارا جميلة فيتجدد نشاطنا ويبعد عن نفوسنا الملل .

وكأن اوسع كتاب فصل في نسب اسماء هو : « نسب قريش للزبير بن بكار » ، ونقول ابن عساكر كانت من اجزاء لم تصل الينا من هذا الكتاب القيم ، ولذلك فانها على جانب كبير من الاهمية لاننا نسمع فيه من تفصيلات النسب ما لا نسمعه في غيره ، ولان الكتاب ليس كتاب نسب فقط فهو كتاب ادبي في الدرجة الاولى ، وفيه نجد قصة اسماء كاملة : نسبها وخبرها مع امها قتيلة ـ او قتلة ، ونزول القرآن في ذلك ، وقصة الغار .

ومما تفرد الزبير بنقله من نسب اسماء : « وام قتلة صرم بنت خلف بن وهب بن حذافة بن جمح . وامها ليلى بنت عبد اسعد بن جحدم بن امية بن ظرب بن الحارث بن فهر . وامها اياس بنت اهيب بن حذافة بن جمح ، وامها ام راشد برة بنت عمران بن مخزوم ، وامها تحمد بنت عبد بن قصي ، وامها سلمى بنت عامرة بن عمير بن وديعة ابن الحارث بن فهر ، وامها هند بنت عبد الله بن الحارث ابن وائلة بن ظرب بن عدوان ، وائلة بن ظرب اخو عامر بن ظرب حكم العرب الذي يقول فيه ذو الاصبع العدواني :

ومنا حكم يقضي ... فلا ينقض ما يقضى

وفي خلف بن وهب يقول ابن الزبعري :

خلف بن وهب كل آخر ليلة ... ابدا يكثر اهله بعيال
سقيا لوهب كهلها ووليدها ... ما دام في انيابها الذيال
نعم الكهول كهولهم وشبابهم ... صيابة ليسوا من الجهال

ولعل هذا الجزء من النسب ، وهذا الشعر المستملح يأتي من الاهمية بمكان ، لا للقارىء المستمتع وانما للباحث المدقق الذي قد يمضي الايام وهو يفتش عن كلمة في نسب فلا تسعفه المصادر ، ويأتي ابن عساكر ليقدم له مادة غنية ثرة من كتب لم تعد في متناول الايدي .

ولا خلاف بين المصادر في مولد اسماء ووفاتها وسنها وزواجها وابنائها ، ولكن خير من يحدثنا عن ذلك بتفصيل ووضوح ابو نعيم في معرفة الصحابة (٢) « كانت تحت الزبير بن العوام فولدت له عبد الله بن الزبير عروة والمنذر ، ثم طلقها فكانت عند ابنها عبد الله ، كانت اخت عائشة لابيها ، وكانت اسن من عائشة ، ولدت قبل التاريخ بسبع وعشرين سنة ، وقبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بعشر سنين ، وولدت لابيها الصديق يوم ولدت وله احدى وعشرون سنة ، توفيت اسماء سنة ثلاث وسبعين بمكة بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير بأيام ، ولها مائة سنة وقد ذهب بصرها .. »

وتحدثنا المصادر التي ينقل منها ابن عساكر ان الزبير تزوج اسماء بمكة ، ولكنها لا تذكر تاريخ هذا الزواج ، ولعل ذلك كان قبل الهجرة بفترة قصيرة ـ هذا اذا قدرنا ان عبد الله بن الزبير كان اكبر ابناء اسماء ، وقد اجمعت المصادر الموثوقة على انه ولد عام الهجرة ،

لكن شيئا من الرغبة في البحث والاستقصاء يراودنا حين نقرأ ما ورد في تاريخ دمشق نقلا عن الطبقات (٣) ، وهو ان اسماء ولدت للزبير « عبد الله وعروة والمنذر وعاصما والمهاجر وخديجة الكبرى وام الحسن وعائشة» ، وليس بين هؤلاء الابناء من عرفته المصادر وتحدثت عنه بعد عبد الله (٤) غير عروة (٥) ، وولد عروة سنة (٢٢ هـ) ، ثم ان الزبير طلق اسماء ، ولا نعرف على وجه الدقة متى كان ذلك ولكن ما نقله ابن عساكر من الطبقات قد يلقي ضوءا على هذا التاريخ .

« .. ناهشام بن عروة ان الزبير طلق اسماء فأخذ عروة وهو يومئذ صغير » . والمتأمل في هذه الاخبار يخيل اليه ان عروة كان آخر ابناء اسماء فقد طلقها الزبير بعد

ان تقدمت بها السن كان عروة صغيرا وولد عروة سنة ٢٢ هـ فكان سن اسماء يوم ولدت عروة ٤٩ عاما فمن المستبعد ان تكون انجبت بعد عروة ومن المحتمل جدا ان تكون ولدت المنذر وعاصما والمهاجر وخديجة الكبرى وام الحسن عائشة في هذه الفترة الممتدة بين ولادة عبد الله وعروة ، واظن ان الزبير بن بكار سيفصل في ذلك تفصيلا كبيرا ولكن المصنف لم يحفل بذلك التفصيل لانه لا يفيد كثيرا في اطلاعنا على ما اراد ان يجلوه لنا من اخبار اسماء.

٥ ـ وينقلنا المصنف من اخبار نسبها الى الاحاديث التي وردت فيها تسمية الرسول لها ذات النطاقين ولا احد يجهل قصة الهجرة ، ولا احد يجهل دور اسماء في اعداد سفرة الرسول صلى الله عليه وسلم وان اسماء لم تجد ما تربط به هذه السفرة فشقت نطاقها باثنين ، فربطت بواحد السقاء وبواحد السفرة فلذلك سميت « ذات النطاقين » . وتأنس بأخبار هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم متصلة يرويها ابن عساكر وغايته من ذلك ان يبين لنا دور اسماء في خدمة الرسول وصاحبه وهما في الغار ، بل ان في بعض جوانب هذه الاخبار ما يبين لنا موقفها الحكيم الشجاع في مناصرة الدعوة ورد كيد المشركين . روى ابن عساكر من طريق ابن اسحاق (٦) عن اسماء بنت ابي بكر ، قالت : « لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ومعه ابو بكر ، حمل ابو بكر معه جميع ماله ـ خمسة آلاف او ستة آلاف ، فأتاني جدي ابو قحافة وقد ذهب بصره فقال : ان هذا والله قد فجعكم بماله مع نفسه ، فقلت : كلا يا ابه قد ترك لنا خيرا كثيرا ، فعمدت الى احجار فجعلتهن في كوة في البيت ، كان ابو بكر يجعل ماله فيها ، وغطيت على الاحجار بثوب ، ثم جئت به فأخذت بيده فوضعتها على الثوب فقلت : ترك لنا هذا ، فجعل يجد مس الحجارة من وراء الثوب ، فقال : اما اذا ترك هذا فنعم . ولا والله ما ترك لنا قليلا ولا كثيرا » .

وقد يأخذ منا الضحك حين نجد من لا يفقه معنى تسمية اسماء ذات النطاقين فيعير بها ابنها عبد الله ، وحق لعبد الله ان يسخر منه وان ينادي من يشاركه هذه السخرية : روى ابن عساكر من طريق احمد بن مروان الدينوري (٧) كما روى من طريق ابن سعد ـ وهذا لفظ ابن سعد : عن هشام بن عروة قال : نادى رجل من اهل الشام : يا ابن الزبير ، يابن ذات النطاقين : يعيره بذلك . فمشى ابن الزبير نحوه وهو يقول :

وعيرها الواشون اني احبها ... وتلك شكاة ظاهر عنك عارها
فان اعتذر منها فاني مكذب ... وان تعتذر يردد عليها اعتذارها

انا ابن ذات النطاقين ، هلم الي ! »

واذا كان ابن عساكر لم يعودنا سماع صوته الا فيما حفظ او روى فان افحام خصوم عبد الله سيأتي في خبرين يرويهما احدهما يدل على قوة ايمان اسماء بالله والثاني على تلك المكانة التي كان يخصها بها رسول الله صلى الله عليه وسلم روى ابن سعد ان اسماء بنت ابي بكر الصديق كانت تصدع فتضع يدها على راسها وتقول : بذنبي وما يغفره الله اكثر .

ومن طريق الاصم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم زارها في مرضها وعلمها دعاء تدعو به (٨) ، ولا اظن ان المصنف يحتاج ان يقول لنا بعد ما قدم من اخبار واحاديث : انظروا الى سفاهة هذا الرجل وجهله ، اترونها اما يعير بها ابنها ؟!

٦ ـ هذه الصحابية الجليلة كانت زوجا لصحابي جليل هو الزبير وما على المؤرخ الامين الا ان يحدثنا عن اسماء الزوجة بعد ان عرفنا دورها في مناصرة الدعوة وتثبيت اركان الاسلام .

كانت حياة اسماء مع زوجها الزبير صورة للكفاح القاسي المرير ، تزوجها وهو لا يملك شيئا غير فرسه ، فكانت تقاسمه شظف العيش في تلك البيئة الفقيرة : تعلف فرسه وتكفيه مؤنته ، وتسوسه ، وتنقل النوى على راسها ، وتدقه ، وتستقي الماء ، وتخرز القرب ، وتعجن ، حتى اذا شاهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم والنوى على راسها واراد ان يخفف عنها وان يحملها معه على ناقته استحيت وخافت غيرة الزبير فلم تركب .

ولم يكن الزبير حسن المعاشرة لاسماء فقد كان شديدا قاسيا. روى ابن عساكر من طريق ابن سعد(٩) ان اسماء كانت تحت الزبير بن العوام ، وكان شديدا عليها، فأتت اباها فشكت ذلك اليه ، فقال : يا بنية ، اصبري فان المراة اذا كان لها زوج صالح ثم مات عنها فلم تزوج بعده جمع بينهما في الجنة . وكانت اسماء تحتمل ما تحتمل صابرة ، حتى اذا احست بما يضيق عنه صدرها اشتكت الى ابيها ، وكان الاب العظيم يطلب منها ان تطيع زوجها ، ويأبى ان يظهر امامها عواطف الابوة ، حتى اذا ولى فاضت الدموع على خديه مدرارا ويحدثنا ابن عساكر من رواية ابن صاعد ، « قال : مر ابو بكر باسماء ابنته وهي تقود فرسا للزبير الى الغابة تحتش عليه وقد حملت ابنها عبد الله ، فلما راته استغاثت به فقالت : ارسلني احتش على فرسه ، وتحمحم الفرس فانسل ، فأخذني ، وضربني ، فقال : اتقي الله واطيعي زوجك ، مرتين ، حتى لما ادركته رقة الوالد حرك فرسه فولى واني لاسمع نشيج بكائه رحمة الله عليه » .

كان ابو بكر حريصا على الزوج الصالح لابنته ، وقد عمل جهده لاستمرار هذه الحياة الزوجية واعطى ابنته خادما تكفيها مؤونة الفرس .

ولكن هذه المراة التي انجبت الشجاعة والعلم ، وعلمت ابناءها معنى الرجولة ، يطلقها الزبير بعد ان تجاوزت سن الخمسين ويأخذ منها ابنها عروة ـ وكان صغيرا ـ فتعيش بقية حياتها مع ابنها عبد الله . هذه

المراة التي اعزها الاسلام ورفع مكانتها لم توفر لها قسوة الرجل حياة مطمئنة وابت طبيعة الزبير التي نفرت منه النساء كما يحدثنا التاريخ الا ان تتغلب وعجز صبر اسماء عن الاحتمال فطلقت من اجل سبب صغير ، لقد كان الزبير يضربها فاستغاثت بابنها عبد الله ، واقبل عبد الله ليغيث امه غير مبال بيمين ابيه وتحذيره .

لم يتحقق ما علل به الاب الصالح ابنته فقد قتل الزبير وعاشت اسماء بعده حياة جديدة لا على امل ان يجمع الله بينهما في الآخرة فقد كانت مطلقة ، ولم يذكر مصدر من المصادر ان الزبير اعاد زوجته ولم يذكر ابن عساكر شيئا من خبر الزبير مع اسماء بعد ان روى لنا قصة طلاقها . ولكننا نقرأ في العقد الفريد ابياتا قالتها اسماء في رثاء زوجها ، فكيف فات المصنف رواية مثل هذه الابيات وهو الذي عرفناه ولوعا بجمع الاخبار حريصا على اقتناص النادر الغريب منها ، قال صاحب العقد (١٠)

« قالت اسماء بنت ابي بكر ذات النطاقين ترثي زوجها الزبير بن العوام ، وكان قتله عمرو بن جرموز المجاشعي بوادي السباع ، وهو منصرف من وقعة الجمل:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة ... يوم الهياج وكان غير معرد
يا عمرو لو نبهته لوجدته ... لا طائشا رعش الجنان ولا اليد
ثكلتك امك ان قتلت لمسلما ... حلت عليك عقوبة المتعمد

لقد ابت اسماء الوفية الا ان تخص ابا ابنائها بعد ان قتل بأبيات مؤثرة تناسب ما كان يتصف به من شجاعة .

واذا كان ابن عساكر قد غفل عن هذا الخبر وهذه الابيات فانه قد اطرفنا بأخبار اخرى من حياة اسماء والزبير برزت فيه صفية بنت عبد المطلب ام الزبير .

لقد كان بين اسماء وصفية بنت عبد المطلب ما بين الكنة وحماتها ، وروى لنا ابن عساكر نقلا عن الزبير بن بكار جانبا من تلك المعاتبات التي تصل احيانا الى درجة الغضب بين الزبير وزوجته وامه ويسمعنا بتلك المناسبة شعرا جيدا لصفية تعاتب به ابنها ، وانا انقل الخبر لان هذا القسم من كتاب الزبير لم يطبع والخبر طريف (١٠) .

.. عن عروة قال « جرى بين صفية بنت عبد المطلب وبين ابنها الزبير بن العوام عتاب في امر زوجته اسماء بنت ابي بكر فسمعت الذي جرى بينهما من ذلك خديجة بنت الزبير ، وهي جارية صغيرة ، وكانت تكون مع جدتها صفية ، فقالت لامها : يا اختاه ، لاي شيء اشتكيت جدتي حتى اشتكت الى ابي ؟ فلم تزل بها اسماء حتى اخبرتها الخبر ، فضجت اسماء من شكوى صفية لها ، وتعذرت منه ، فبلغ صفية ما كان منها فغضبت وقالت للزبير : يكون بيني وبينك شيء ، فترفعه الى امراتك وتؤثرها علي ؟ فقال — وهو لا يعلم من نقل الحديث — : لا والله يا امتاه ما فعلت . فازدادت غضبا . وكان غضبها ما لا يطاق ، فاندفعت تقول :

وعالجت ازمان الدهور عليكم ... واسماء لم تشعر بذلك ايم
فيكثر ان عوفيتم وسلمتم ... سروري واني ان مرضتم لارزم
وتؤثر اخرى لم تلدك على التي ... لها الحق يتلوه فصيح واعجم
فلو كان في الكفار زبر عذرته ... ولكن زبرا ايها الناس مسلم

وعلم الزبير من خرج الخبر ، فقال لها : يا امتاه ، التي خرج الحديث منها ابنتك خديجة قالت : كذاك ! لا تدخل علي خديجة ابدا » .

هذه قطعة من الجانب القلق الذي يمثل حياة اسماء في بيت الزوجية ، ولا نستطيع ان نفسر ذلك الا بما عرف عن الزبير من العنف والقسوة ، ويخيل الينا ان صفية كانت تزيد نار هذه الخلافات اشتعالا فلم تكن تستطيع ان تزن تلك العلاقة بينها وبين ابنها وكنتها بميزان طبيعي حكيم لقد حرصت على ولدها فارادته لها وحرصت اسماء على زوجها فارادت ان تستأثر به . هذا ما نستطيع ان نستنتجه من القصة السابقة ان لم نضف اليه اسبابا خاصة اجتماعية لم تصل الينا .

٧ — ويقلب ابن عساكر صفحة الحياة الزوجية بهمومها ومشاكلها لينقلنا الى عقل اسماء ودينها ، والى تلك الصفات الخلقية التي ميزتها عن غيرها وجعلتها تزن عباراتها بميزان المواعظ والحكم وجعلتنا نشعر بالسمو والصفاء في قول اسماء وفعلها ، بل اننا لنحس ونحن نقرأ اخبارها بخوف شديد من الله ورغبة صادقة في التقرب اليه في القول والعمل ، وحرص على التمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم . حدث وهب بن كيسان قال : « سمعت اسماء بنت ابي بكر قالت : مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا احصي شيئا واكيله فقال : « يا اسماء لا تحصي فيحصي الله عليك » ، فما احصيت شيئا بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندي ولا دخل علي وما نفد عندي من رزق الا اخلفه الله» ويقودها عقلها وتمسكها بالسنة الى هذه الحكمة تأمر بها بناتها : روى البغوي عن هشام بن عروة قول اسماء : « يا بناتي تصدقن ، ولا تنتظرن الفضل ، فانكن انانتظرتن الفضل لم تجدنه ، وان تفقدن لا تجدن فقده » .

كانت اسماء اذا كريمة سخية وكان ذلك الكرم طبيعة في نفسها وسنة سارت عليها ، ومن غير اسماء يعرف الاثر ويحسن التمسك به . وينقل لنا ابن عساكر مقارنة عبد الله ابن الزبير بين جود اسماء وجود عائشة قال (:) « ما رايت امراتين قط اجود من عائشة واسماء . وجودهما مختلف : اما عائشة فكانت تجمع الشيء الى الشيء ، حتى اذا اجتمع عندها وضعته مواضعه . واما اسماء فانها كانت لا تدخر شيئا لغد » .

ومما حدث به التاريخ عن اسماء انها كانت من اعبر الناس للرؤيا اخذت ذلك عن ابيها واخذه عنها سعيد بن

المسيب ، وان دل ذلك على شيء فانما يدل على رجاحة تفكيرها وصفاء نفسها . ويقترن صفاء النفس عندهـا بالزهد والورع ، روت فاطمة بنت المنذر عن اسماء بنت ابي بكر : انها كانت تمرض المرضة فتعتق كل مملوك لها .

هذه اسماء بنت ابي بكر عقل وحكمة ، وجود وسخاء وزهد وورع .. يضاف الى ذلك كله شجاعة كبيرة حدثت فاطمة بنت المنذر ان اسماء بنت ابي بكر اتخذت زمن سعيد بن العاص خنجرا للصوص ، وكان استعروا بالمدينة فكانت تجعله تحت راسها .

وماذا عن خلق اسماء بعد ان عرفنا خلقها ؟ كأن ابن عساكر لم يعثر من ذلك على شيء عند المؤرخين ولكنه وجد من تحدث عن لباسها فاذا هي حسنة الهندام ، واذا ابناؤها يرثون ذلك عنها. روت فاطمة بنت المنذر قالت(١٣) « ما رايت اسماء لبست الا معصفرا حتى لقيت الله ، وان كانت لتلبس الثوب يقوم قياما من التعصفر ، وكان عروة ابن الزبير تعصفر له الملحفة بالدينار » . وربما اوحى لنا صمت المؤرخين عن الاشارة الى خلقها بأن اسماء لم تكن على جانب من الجمال ، وربما اوحت لنا بعض الاخبار بذلك (١٤) .

٨ ـ اما عن فصاحة اسماء وقوة حجتها وبلاغتها فالحديث يطول والامثلة كثيرة واما عن صبرها فقد رأينا منه نماذج في حياتها مع زوجها الزبير وكذلك نجدفي موقفها من مقتل عبد الله يوم فضلت له الموت بعزة على الحياة بذلة شجاعة ما بعدها شجاعة والاخبار في ذلك كثيرة ومتواترة . روى البيهقي (١٥) من طريقه قال : « لما قتل الحجاج بن يوسف عبد الله بن الزبير دخل الحجاج على اسماء بنت ابي بكر وقال لها : يا امه ان امير المؤمنين اوصاني بك فهل لك من حاجة ؟ فقالت : لست لك بأم ، ولكني ام المصلوب على راس التينة ، وما لي من حاجة ولكن انتظر حتى احدثك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اني سمعته يقول : « يخرج في ثقيف كذاب مبير ، فأما الكذاب فقد رأيناه ـ تعني المختار ـ واما المبير فأنت . فقال لها الحجاج : مبير المنافقين » . ولا اظن ان التاريخ حدثنا عن امراة بلغت مائة سنة تستطيع ان تفحم خصمها بمثل هذه الحجة . وبمثل هذه الجراة والقوة وهي ثاكل ، ولعل القارىء لاخبار اسماء ولاخبار ابنها عبد الله (١٦) يستطيع ان يجد من التفصيل ما لا استطيع ايجازه بهذ ٥الاسطر ، واكتفي بهذا الخبر الذي نقله المصنف من مسند الهيثم بن كليب الشاشي (١٧) عن ذي نوفل العريجي ان الحجاج لما قتل ابن الزبير صلبه على عقبة المدينة فمر به ابن عمر ، فوقف عليه ، فقال له : السلام عليك ابا خبيب ، ثم قال : اما والله لقد نهيتك عن هذا ـ ثلاثا ـ اما والله ما علمت ان كنت لصواما قواما وصولا للرحم ، وان امة تكون انت اشرهم لامة صدق ، فلما بلغ ذلك الحجاج امر به فطرح في مقابر اليهود ثم ارسل الى امه ان تأتيه . فأرسل اليها : لتأتن او لابعثن اليك من يسحبك بقرونك حتى يأتيني بك . فأرسلت اليه والله لا آتيك حتى تبعث الي من يسحبني بقروني ، فلما راى ذلك لبس سبتيه ثم خرج يتوذف اليها حتى دخل عليها فقال : كيف رايتني صنعت بعبد الله ؟ قالت : رايتك افسدت عليه دنياه وافسد عليك آخرتك . وقد بلغني انك كنت تعيره بابن ذات النطاقين ، وقد والله كنت ذات النطاقين ، اما احدهما فنطاق المراة التي لا تستغني عنه ، واما الاخر فاني كنت ارفع فيه طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام ابي ، فأي ذلك ويل امك عيرته به .. » . لقد اوردت الخبر بطوله لكي اقارن بين موقف الرجل وموقف المراة الرجل الصالح اللين عبد الله ابن عمر ، والمراة الشجاعة الصلبة اسماء بنت ابي بكر وكأني اجد خلاصة تلك المعركة الكبرى التي دارت رحاها بين بني امية وابن الزبير لخصتها اسمـاء في جملتين قصيرتين تجمعان البلاغة كلها : « افسدت عليه دنياه وافسد عليك آخرتك » ، انه تحليل للواقع بعيد عن هيجان العاطفة ، وحرارة الثكل ، ولا ادري كيف كانت هذه المراة تستطيع ان تحكم قوة ارادتها وتتحدث بمنطق الحوادث حين تمرد الواقع المرير امامها على كل منطق ، ونقلب اخبار اسماء وابنها فتزداد الحقيقة في نفوسنا استقرارا

لقد صدق التاريخ في الحديث عن بطولة هـذه المراة ، وصورها فأحسن التصوير وجاء ابن عساكر فاقتطف كثيرا من الاخبار حتى اذا جال جـولته في استعراض المصنفات ، انتهى منها جميعا بحقيقة واحـدة وهي ان اسماء بنت ابي بكر كانت تتحلى بشجاعة نادرة وصبر لا حدود له وجراة على قول الحق وفصاحة في التعبير عنه، وكان ميزان ذلك كله ايمان قوي ملأ قلبها وعقلها فكبح جماح العواطف ورجح في نظرها الباقي على الفاني فكان ذلك المنطق الذي وجهت به ابنها ، وكان ذلك التقبل للنتائج التي افزعتنا ولم تفزعها . ونستطيع ان نجد خلاصة لما تقدم في هذا الحوار بينها وبين عبد الله (١٨) قال عروة : « دخلت انا وعبد الله بن الزبير على اسماء قبل قتل ابن الزبير بعشر ليال وانها وجعة . فقال لها عبد الله : كيف تجدينك ؟ قالت : وجعة ، قال : ان في الموت لعافية ، قالت : لعلك تشتهي موتي فلذلك تتمناه . فلا تفعل ، فالتفت الي عبد الله فضحك ، وقالت : والله ما اشتهي ان اموت حتى تأتي على احد طرفيك : اما ان تقتل فاحتسبك ، واما ان تظفر فتقر عيني بك » . بمثل هذه الارادة القوية كانت تقرر الامور وهي المراة العليلة ابنة مائة سنة . واذا كان قد عمي منها البصر فلم تضعف فيها قوة البصيرة ، ولم يهن جسمها ، ويكفيني من قـوة بصيرتها ما اصابت به ابن عمر حين اراد ان يصبرها (١٩). قال ابن عمر : فاتقي الله وعليك بالصبر فقالت : ومـا

يمنعني وقد اهدي راس يحيى بن زكريا الى بغي من بغايا بني اسرائيل » .

٩ – ويستعرض ابن عساكر معنا الاخبار التي ستتحدث عن اسماء في ايامها الاخيرة او وهي ابنة مائة سنة ، فاذا الكثير منها يقول لم يسقط لها سن ولم ينكر الناس من عقلها شيئا . وقد راينا مصداق ذلك في الاقوال التي نقلها عنها المؤرخون اثناء الفتنة وبعد مقتل عبدالله، وتتواتر الاخبار انها هي التي حنطت ابنها وكفنته . ويتفرد خبران احدهما رواه المصنف من طريق الهيثم (٢٠) ابن كليب يقول فيه صاحب راية الحجاج انه دخل مع الحجاج على اسماء حين صلب الحجاج عبد الله « فاذا امراة قد كبرت وعميت وعرض بها صمم » ، والاخر بمعنى هذا الخبر رواه المصنف من طريق ابي زرعة (٢١) فهل تم ذلك في هذه الايام القلائل التي عاشتها اسماء بعد دفن ابنها عبد الله ؟ ربما كان ذلك لان ما اجمعت عليه المصادر وما نقلته من اقوالها حين قتل ابنها وحين صلب يتعارض مع مضمون هذين الخبرين .

١٠ – ولم يبق على المصنف الا ان يحدثنا عن وفاة اسماء وعن سنها يوم ماتت وعن الايام التي مكثتها بعد قتل ابنها وما اوصت به .

هناك اجماع بين المؤرخين على أن اسماء توفيت سنة ٧٣ هـ وانها لم تمكث بعد قتل ابنها الا مدة قصيرة، وكان الاختلاف في تحديد هذه المدة فمن قائل انها كانت اسبوعا ، ومن قائل اكثر او اقل ولكن احدا لم يقل ان حياتها طالت بعده كثيرا ، ولعل ما قاله ابن سعد نقلا عن ابن عمر كان اطول مدة ذكرها المؤرخون لحياة اسماء بعد وفاة عبد الله : « وامه يومئذ حية ثم توفيت بعد ذلك باشهر » .

اما وصية اسماء فكانت : « اذا انا مت فاغسلوني وكفنوني وحنطوني ، ولا تذروا على كفني حنوطا ، ولا تدفنوني ليلا ، وفي رواية ولا تتبعوني بنار (٢٢) .

وبعد لقد استعرضنا مع ابن عساكر حياة اسماء بنت ابي بكر الصديق ذات النطاقين ، وام الرجلين الكبيرين ، استعرضنا شخصية اسماء المسلمة والفقيهة والزوجة والام والحكيمة . وبعد هذه الجولة لا يسعني الا ان اقول :

ليت دمشق امتدت فشملت اطرافها كل العالم الاسلامي اذا لحفظ تاريخ دمشق كل ما ضاع من اخبار النساء ان ما نجده متفرقا في بطون الكتب نتفا مبعثرة يجمعه ابن عساكر في تاريخه فيغنينا عن تقليب الصفحات، واستعراض المصنفات ، ويكفينا مؤنة البحث والاستقصاء. كل ذلك من غير ان يفرض علينا رايا او يشعرنا باتجاه معين ينتمي اليه في تفكيره ، وكانه يقول لقارئه : هذا ما كتبه المؤرخون قبلي فقارن وتأمل واستنتج .

دمشق — سكينة الشهابي

---

* لم اشا ان اترجم لابن عساكر ، ولا ان اعرف بتاريخ دمشق لاعتقادي ان الذين سيقراون هذا المقال يحتفظون في ذاكرتهم بمعلومات كافية عن هذا المؤلف وتاريخه .

(١) التاريخ ١٩١ ب (ظاهرية م ١٩) .
(٢) منه قطعة مخطوطة في المكتبة الظاهرية انظر (حديث ٣٤٤).
(٣) انظر تاريخ دمشق ق ١٩١ ب والطبقات ٢٥٠/٨ .
(٤) نحن نقول هذا ونسب قريش لم يعرف منه القسم المتعلق بالزبير وابنائه بعد .
(٥) انظر تاريخ دمشق ١٩٣ ب والطبقات ٢٥٢/٨ .
(٦) انظر تاريخ دمشق ١٩٢ ب وسيرة ابن هشام .
(٧) كتابه المجالسة توجد اقسام منه مخطوطة .
(٨) انظر تاريخ دمشق ١٩٢ ب .
(٩) انظر الطبقات ٢٥١/٨ ، وابن عساكر ١٩٣ أ
(١٠) انظر ٢٢٥/٣ .
(١١) التاريخ ١٩٣ ب .
(١٢) انظر التاريخ ١٩٤ أ .
(١٣) تاريخ دمشق ١٩٤ ب .
(١٤) انظر خبر دخول مسلم القري عليها في ص ١٩٠ ب من التاريخ
(١٥) انظر تاريخ دمشق ١٩٤ ب .
(١٦) انظر المطبوع من تاريخ دمشق ص ٤٧٠ ومابعد « عبد الله بن جابر – عبد الله بن زيد » .
(١٧) انظر التاريخ ١٩٥ أ .
(١٨) التاريخ ١٩٤ ب .
(١٩) تاريخ دمشق ١٩٥ ب .
(٢٠) انظر التاريخ ١٩٥ ب .
(٢١) انظر التاريخ ١٩٦ أ .
(٢٢) التاريخ ١٩٦ أ .



عيسى فتوح

الجسور الأدبية التي نحتاج

بقلم عيسى فتوح

* * *

من المعروف ان الشعراء العرب في الاندلس كانوا ينظرون الى شعراء المشرق نظرتهم الى الاساتذة والمعلمين، يحاولون دائما النسج على منوالهم وتقليدهم في الافكار والصور والمعاني واسماء المدن ، فسموا دمشق وحمص وقنسرين وفلسطين ، وكان ابن زيدون يلقب ببحتري المغرب ، وبن هاني بمتنبي المغرب ، ولم يكتفوا بذلك ، بل كانوا يغيرون على معانيهم التي طرقوها، كابن دراج القسطلي الذي كان مولعا بتتبع المتنبي وتقليده ، واقتفاء اثر الشريف الرضي وابي نواس .

وعندما غادر العرب الاندلس نهائيا عام ١٤٩٢ ، حل قسم كبير منهم في المغرب ، ولذلك لا تزال الكنى نفسها ، كبنجلون وبنميمون ، وبنشقرون ، معروفة في المغرب ، حتى ان فن الزخرفة والعمارة والهندسة ، انتقل كليا من الاندلس الى المغرب ، ونستطيع ان نقول بشكل عام ان حضارة العرب في المغرب لم تكن الا امتدادا لحضارتهم في الاندلس ، او هي صورة عنها طبق الاصل .

ان ادباء الاندلس لا يزالون حتى اليوم يشعرون بهذا التوق الكبير الى عقد الصلات الطيبة بأدباء المشرق ، لاحساسهم بأنهم يعيشون في عزلة عنهم ، بسبب موقع بلادهم المتطرف ، ووضعها الجغرافي كآخر دولة عربية في الارض الافريقية ... وعندما زرت مدينة سبتة المغربية في شهر حزيران ١٩٨٠ ، التي تسيطر عليها اسبانيا ، شعرت بأن اللغة العربية هناك تكاد تلفظ انفاسها الاخيرة، بالرغم من وجود عشرين الفا من السكان العرب ، فقد اوشك هؤلاء ان يذوبوا في بوتقة الحياة الاسبانية ، وتندثر لغتهم ، اذ لا مدارس الا الكتاتيب ، ولا كتب ولا صحف ، ولا مجلات ولا تخاطب حقيقي باللغة العربية .

كنت احسب وانا في اسبانيا ، انني سأجد في سبتة من اتحدث معهم باللغة العربية ، الفصحى على الاقل ، ولكن املي خاب ، لان اللغة الاسبانية هي السائدة والمنتشرة والمستعملة في الحياة اليومية حتى بين العرب انفسهم ..
ولما عدت الى دمشق عقدت العزم على ان امتن صلاتي وعلاقاتي الثقافية بأدباء المغرب الشقيق ، وقد التقيت بعدد منهم في مؤتمر الادباء الثاني عشر الذي عقد في دمشق بين ٢٣ ــ ٣٠ تشرين الثاني ١٩٧٩ ، كأحمد السطاتي ، ومحمد برادة ، وادريس الناقوري ... لتزداد معرفتي بوضع الادب المغربي ، واطلع على اهم قضاياه الراهنة.
وفعلا نشأت بيني وبين الادباء احمد السطاتي ، ومصطفى المهماه ، وعبد القادر الادريسي ، والعربي بنجلون مراسلات غايتي ان اتعرف من خلالها على الحركة الادبية في المغرب التي بدات مع الاستقلال عام ١٩٥٦ ، فقد استطيع ان اعوض بهذه المراسلات الادبية عن الكتب والمجلات والصحف المغربية التي لا اثر لوجودها في مكتباتنا على الاطلاق ، وهكذا استطعت ان اجني بعض المعلومات التي كنت اسعى اليها وابحث عنها ، كما يسعى اليها ويبحث عنها كل قارىء او كاتب في المشرق العربي .

كانت معظم الرسائل التي وصلتني تنصب وتصرعلى ضرورة قيام تلاقح ثقافي بين الادبين المشرقي والمغربي ، وتؤكد على دور المجلات الثقافية في كلا القطرين ، والمهمة التي يجب ان تضطلع بها ، لمعالجة قضايا الادب الراهنة وطرح المشكلات التي يعاني منها ، والتعريف بأبرز الكتاب الذين يساهمون في الحركة الادبية في كلا القطرين ، والوقوف على نشاطاتهم من خلال هذه الدوريات والصحف والمؤلفات .

يقول لي الاستاذ العربي بنجلون في رسالته المؤرخة

في ٢ـ١ـ١٩٨٠ : « لقد اكدت لي رسالتك الماضية تلك العلاقة الوطيدة بين المشرق والمغرب العربيين ، وبالرغم من العامل الجغرافي والعوامل الاخرى التي تحفر الاخاديد بيننا ، فان تاريخنا ومصيرنا المشترك ، ولغتنا العربية ، وقيمنا واحاسيسنا النبيلة ... كل ذلك يصل بعضنا ببعض ، ويمتن الاواصر . وليس ادل على ما اقول من اللبنات الاولى التي يرصها اتحاد الكتاب العرب بدمشق ، وتتجلى بنوع خاص في اصدار كتب ومجموعات قصصية وشعرية لادباء من سائر الاقطار العربية ، وعلى سبيل المثال اشير الى محمد زفزاف ، ومحمد اديب السلاوي ، ومبارك الدريبي ومصطفى يعلى ، ومحمد الطوبي . بل ان الدهشة لتأخذني كلما تذكرت اول ديوان شعري موريتاني صدر عن اتحاد الكتاب العرب في سورية تحت عنوان «مختارات من الشعر الموريتاني المعاصر » وهو يتضمن نتاجات شعرية لتسعة من شعراء موريتانيا ... »

وفي رسالته المؤرخة في ١٨ـ١٠ـ١٩٨٠ يقول : « .. لقد تعرفت من خلال بعض المجلات السورية كالمعرفة والموقف الادبي على نخبة من كتاب سورية ، وصار القارىء المغربي يتتبع كل ما يصدر لحنا مينه ، وهاني الراهب ، وجورج سالم .. لكن اود ان اعرف القارىء السوري شيئا عن ادبنا المغربي ، ولا يغرب عن البال انه ادب وليد ، يعود الفضل في تكوينه الى الشرق العربي الذي تعهد ثلة من ادبائنا بالصقل والتشذيب ، هؤلاء الادباء الذين نقلوا الى التربة المغربية بذور الفن القصصي والمسرحي والنقدي كعبد الكريم غلاب ، وعبد الكريم بن ثابت ، وعبدالمجيد بنجلون ، وابراهيم السولامي ، ومحمد بن ابراهيم المراكشي وغيرهم .. فأنبت هؤلاء جيلا يقود الحركة الادبية باصرار وثبات » .

« اما فيما يتعلق بالنشر ، فان عندنا عددا كبيرا من

الجرائد والمجلات التي لا تقف حجر عثرة في سبيل الكتابة بل تفتح ابوابها لكل التيارات الادبية والمذهبية ، وترحب بكل الآراء ، بالرغم من تناقضاتها ، وتخصص صفحة ادبية يومية ، او ملحقا ثقافيا اسبوعيا ، فمن الجرائد مثلا :

الانباء ، البيان ، العلم ، الميثاق الوطني ، الرأي ، المصباح ، المغرب ، المغرب الملاحظ ، المحرر ، النسب ، صوت الامة ، الخنساء ، الحركة ، الاتحاد الوطني ، الآباء ، الميثاق ، النور ، تطوان ، اللواء ... ومن المجلات : دعوة الحق ، المناهل ، الارشاد ، المشروع ، الاساس ، الجماعة ، الثقافة الجديدة ، الزمان المغربي ، المدينة ، الايمان ، البعث الثقافي ، البحث العلمي ، المجلة الفلسفية ، المحاماة ، القضاء ، المبادىء ... وهكذا نلاحظ ان الكم يستوعب كل الكفاءات الادبية ويزيح عائق النشر .. »

لقد ارسل لي الاستاذ احمد السطاتي رئيس تحرير مجلة « اقلام » هذه الدورية منذ عدة اشهر ، فكانت نافذتي الاولى على النتاج المغربي في الشعر والقصة والرواية والمسرح والنقد ، وهي مجلة لطيفة صغيرة الحجم ، لكنها مليئة بالابحاث الجادة ، والموضوعات القيمة ، تصدر في عشرة اعداد سنويا عن دار النشر المغربية في الدار البيضاء ، كذلك ارسل لي الصديق الاستاذ مصطفى عبد السلام المهماه مجلة (الارشاد) التي يراس تحريرها ، وتصدر شهريا عن مديرية الاوقاف الاسلامية ، وكتابين له هما « المجتمع الاصيلي والمسرح » ، و « المراة المغربية والتصوف » .

اما العربي بنجلون الذي يعتبر من اكثر الباحثين اهتماما واطلاعا على قضايا الادب والصحافة في المغرب خاصة والوطن العربي عامة ، فقد ارسل لي مجلتي « الزمان المغربي » وهي مجلة ادبية فصلية صدرت عام ١٩٧٩ ، مديرها سعيد علوش ، ورئيس تحريرها بنسالم حميش ، و « الثقافة الجديدة » ، وهي مجلة شهرية تصدر موقتا اربع مرات في السنة ، اسسها محمد بنيس عام ١٩٧٦ ، وتتألف هيئة تحريرها من محمد البكري ، ومصطفى المسناوي ، وعبدالله راجع .

ولم يكتف الصديق بنجلون بهذه الهدية ، بل قدم لي مشكورا طائفة من الكتب القصصية والشعرية والمسرحية والنقدية التي صدرت في المغرب ، اذكر منها : المصطلح المشترك لادريس الناقوري ، ووجه في المرايا لاحمد زيادي ، واللعنة والكلمات الزرقاء للصغير ادريس ومودن عبد الرحيم ، وانياب طويلة في وجه المدينة لمصطفى يعلى ، ووادي المخازن لحسن محمد الطريبق ، ونار تحت الجلد لاحمد بنميمون ، والحركة الوطنية المغربية من خلال شخصية الزعيم علال الفاسي لعبد الحميد الرنيسي .. وآمل ان اتناول هذه الكتب بالتعريف والنقد قريبا .

انني اثني واشجع على قيام مثل هذه الصداقات الادبية التي تربط بين الادباء في مختلف ارجاء الوطن العربي ، على ان يعرف كل اديب بنتاج زملائه في القطر الآخر ، ويتبادل معهم الرسائل والكتب والمطبوعات التي صدرت حديثا ، ليكون هناك نوع من التكامل الادبي ، فالادباء قادرون قبل السياسيين ومنظري المبادىء على صنع دولة الوحدة التي يسعى اليها العرب ، كل العرب .

دمشق　　　　عيسى فتوح

عميد الصحافة الأدبية ألبير أديب

بقلم محمود الحسنية

* * *

حمدا له سبحانه وتعالى ، عما قدم لك ، من عون ، وقوة، ويسر من سبل ، وطاقات ، لتستمر في تأدية مهام رسالة الصحافة الادبية .

حمدا له ، لانه حماك ، ووقاك ، من شر كاد يكون جسيما ، في فترة عصيبة ، رهيبة ، استهدفت لبنان ، وجميع الآمنين ، والمؤمنين ، وعرضه ، معهم ، لرصاص طائش ، وغدر جائر ، عبر مؤامرة مدمرة ، قذرة .

حمدا لك سيدي ، لانك النافـع بالعلم والعمل ، الكريم الذي يغرف من بحر ادبه ، كل ماجد امثل .

حمدا لك ، لانك بارادة العباقرة ، وطول انـاة المؤمنين ، وصبرهم ، استطعت ان تتخطى عاديات الزمن، وتسلك الطريق القويم ، حيث لم تسع في يوم من ايـام الحياة ، وراء شهرة ، أو كسب مادي ، بل آثرت الحفاظ على ادب العلم ، دون المال ، وهـو الاعلى والابقى . واجهدت النفس على هذا العطاء الادبي ، السخي ، الذي جمـع رجاحة العقل ، ورقي الفكر وثراء المادة في الكلمـة النزيهة ، المدركة ، عبر فلذاتك الثلاث .

تعهدت الفلذة الاولى والثانية، بحنان الابوة الصالحة، التقية ، النقية ، الهادية ، فنشأتا على خطى خلقك القويم، وادبك الجم ، وتعهدت الفلذة الثالثة بالتبني واعطيتها الجهد، والحدب والرعاية، وذوب العينين، والراحة والسهر، والصحة فكانت « الاديب » المجلة الرائدة ، مميزة النهج ، والسيرة، والمستوى ، منذ نشأتهـا في ١-١-١٩٤٢ مستقطبـة باصالتها ، الادب الرصين ، وهذه النخبة الكريمة مـن ادباء العالم العربي ، حيث رياضها الادبية ، انفاس شذى، من العطر الفواح ، يتهافت اليها عشاق الادب ، وطلابه ، بعد ان لمسوا ان رائدها ، وقائد مسيرتها ، فتح بابها ، وباب صدره الرحب لكل وافد آبل . ولا غرو ، فهو الذي صح فيه قـول الامـام علي ، حين تكلم عن اهل الفضل ، انك ترى لاحدهم : « قوة في دين ، وحزما في لين ، وايمانا في يقين ، وحرصا في علم، وعلما في حلم ، وقصدا في غنى .. وتحملا في فاقة ، وصبرا في شدة ، وطلبا في حلال ، ونشاطا في هدى ، وتحرجا عن طمع » .

وهذا ما ينطبق على خلالك الحميدة ، من خـلال تسع وثلاثين سنة ، قضيتها في خدمة الرسالة ، اذ كنت الحريص ، على كل ذلك ، في نهج الحياة ، ومواكبة العمل. مما جعل « الاديب » ، المجلة الرائدة ، تتمتع بثقة ادباء الامة العربية ، من المحيط الى الخليج ، وفي دنيا اغترابهم، لانها ثابرت على استمرارية النهج ، والاسلوب ، والصورة والمستوى ، كما ثابرت ان تكون ، مجلة كل مواطن ، من هذا الوطن العربي الكبير ، ان دخول « الاديب » في عامها الاربعين ، هو مدماك حضاري ، يضعه عميد الصحافـة الادبية ، البير اديب ، ومن أجـدر منك بهذا اللقب ، وعطاؤك الادبي ، يزداد زخما ، يوما بعد يوم ، كانه ينبوع غزير ، يتدفق من ينابيع جبالنا الخضراء ، احس هديره، بكل ذرة من كياني ، واراه يروي المتاهات .

انك جدير بهذا اللقب بعد البذل الذي كاد ان يكون معجزة في طول هذه المسيرة الادبية كما كان جديرا به ، داود بركات ١٨٧٠ - ١٩٣٢ حين لقب بشيخ الصحافة بعد جهد صحافي ، لا سيما في رئاسة تحرير الاهرام طوال ثلاثين سنة .

وآمل ان يكون ذلك في حفل تكريمي ، يشارك فيـه ادباء «الاديب» .

عفوا اذا خاطبتك بلغة ، فيها من الاثرة ، والمحبة ، وانت الذي اخذت بيدي ، الى مناسك رياضك الادبية ، كما كان يأخذ بيدي ، في الثلاثينات ، معلمي المرحـوم نعوم افرام البستاني ، يدنيني منـه ، ويصعدني الى طاولته ، في مدرسة « الاخوة المريميـين » بدير القمر ، لاعرب لرفاقي طلاب الشهادة الابتدائية ، كلما من نهـج البلاغة ، الذي كان يحفظ ، اكثر خطبه ، عن ظهر قلب ، مرددا : على مسامع طلابه : « عليكم بهذا الكتاب الثمين، اذا اردتم ان تتمكنوا من لغتكم » . فقد كان طيب الله ثراه لغويا ، ضليعا ، ذواقة ادب ، راوية شعر ، قلما ذكر امامه بيت من الشعر ، دون ان يذكر قائله ، ومناسبته ، ويردفه بالبيت الذي يليه ، بالاضافة الى انه كان قبل التعليم ، صحافيا ، وقد اصدر جريدة سماها « دير القمر » .

التشابه قريب ، كلاكما من بلدة عريقة ، عزيزة ، كانت لفترة مشرقة ، من تاريخنا ، عاصمة لبنان ، وامير لبنان آنذاك ، الامير فخر الدين المعني الكبير ، الذي امتدت سطوته من عرب بستان حتى عريش مصر .

اجل سيدي ، ان حياة العباقرة ، ليست ملكا ، او حقا مقدسا لهم ، بل هي ، ايضا لمجتمعهم ، ولهذه الانسانية المعذبة ، التي كثر فيها الذئاب ، وسقم معها الضمير ، واصبح الانسان يبصر بغريزته ، وانانيته ، وجشعه ، لذا كانت حياتهم الخاصة ، جزءا من هذا الدور الكلي ، الذي يتفاعل لينعم الفرد ، بقسط من الحرية ، والعدالة ، والرقي ، وفي ذلك قال نيتشه ، بنزعة فردية ، سأحيا ، واشبع غرائزي ، واتحرى عن الخير ، بارادة قوية ، حبا بالحقيقة ، حيث من يريد ان يتذوق السعادة ، ويلمس الجمال ، لا بد ان يكون قد مر بطريق الجلجلة ، طريق الآلام ، اذ كل ارتجاج في ناحية، يقابله ارتجاج في ناحية اخرى ، وعلى المرء اذا اراد ان يحقق ما يذكر وما يدوم ، من اثر طيب ، عليه ان يطلبه بعزم ، وثبات ، لان الثبات هو سر الانتصارات الكبيرة ، وهذا ما سيتحقق ان شاء الله بالعمر المديد .

لقد كان للعلامة ، اللغوي ، الشيخ ابراهيم اليازجي ١٨٤٧ ــ ١٩٠٦ الفضل الاول ، في اطلاق اسم « المجلة » في عالم الصحافة العربية ، بينما كان يحررمجلة «الطبيب» للدكتور جورج بوست ١٨٣٨ ــ ١٩٠٩ في عام ١٨٨٧ . بالاشتراك مع كل من الطبيبين خليل سعادة وبشارة زلزل . ولك نظير ذلك الفضل ، في عالم الصحافةالادبية. من خلال منبرك الرفيع ، المطل على دنيا العرب ؛ عبر « الاديب » فضل لم يسبق اليه احد ، فقد ثابرت . على اصدار المجلة الغراء ، طوال تسع وثلاثين سنة بمفردك ، في احلك الايام والمحن ، منافحا ، مكافحا ، بالنفس

المستعدة، دائما ضمن مشيئة الخالق ، وحققت الكثير من الابداع الفكري ، في رسالة الادب ، فكنت الاول ، في هذا المضمار الادبي ، في عالمنا العربي ، فضلا عن انك جعلت « الاديب » مرجعا ، يؤرخ لكل الفنون الادبية ، ومنازع الفكر الحديث . وغدا ، عندما يكون لنا تاريخ حديث للصحافة العربية ، مكملا ، لتاريخ الفيكونت فيليب دي طرازي ١٨٦٥ ــ ١٩٥٦ ، سيشرق وجه لبنان ، في تاريخ رسالتك كما اشرق بالصحافيين ، اللبنانيين الاوائل ، وبصحفهم الطليعية ، ويذكرك باكبار مع الخوري وحديقة اخباره (١) ، والشدياق وجوائبه (٢) ، والبستاني وجنانه (٣) وقباني وثمرات فنونه (٤) ، وتقلا واهرامه(٥) وصروف ومقتطفه (٦) وسركيس ولسان حاله (٧) ، والدنا وبيروته (٨) ، وزيدان وهلاله (٩) ، والبحري وطرابلسه (١٠) ، ومكرزل وهداه (١١) ، واليسوعي ومشرقه (١٢) ، وناصر الدين وصفائه (١٣) ، واليازجي وبيانه وضيائه (١٤) ، وعقل وبيرقه (١٥) ، وطباره واتحاده (١٦) ، والعريس ومفيده (١٧) ، ورضا ومناره (١٨) ، والزين وعرفانه (١٩) ، ومع كوكبة اخرى من الاعلام غير منسية .

---

(١) خليل الخوري ١٨٣٦ ــ ١٩٠٧ اصدر « حديقة الاخبار » اولى الصحف العربية سنة ١٨٥٨ واسس المطبعة السورية .

(٢) احمد فارس الشدياق ١٨٠٤ ــ ١٨٨٨ اصدر « الجوائب » في الاستانة سنة ١٨٦٠ .

(٣) المعلم بطرس البستاني ١٨١٩ ــ ١٨٩٢ اصدر « الجنان » بتاريخ ١-١-١٨٧٠ .

(٤) الشيخ عبد القادر قباني ١٨٤٨ ــ ١٩٣٥ اصدر « ثمرات الفنون » سنة ١٨٧٥ .

(٥) سليم تقلا ١٨٤٩ ــ ١٨٩٢ اصدر « الاهرام » سنة ١٨٧٥ بالاشتراك مع شقيقه بشاره .

(٦) يعقوب صروف ١٨٥٢ ــ ١٩٢٧ اصدر « المقتطف » سنة ١٨٧٦ بالاشتراك مع فارس نمر ، ومكاريوس شاهين .

(٧) خليل سركيس ١٨٤٢ ــ ١٩١٥ اصدر « لسان الحال » سنة ١٨٧٧ واسس معها المطبعة الادبية .

(٨) محمد رشيد الدنا ١٨٥٧ ــ ١٩٠٢ اصدر جريدة « بيروت » سنة ١٨٨٦ .

(٩) جرجي زيدان ١٨٦١ ــ ٢١-٨-١٩١٤ اصدر الهلال سنة ١٨٩٢ .

(١٠) محمد كامل البحيري ١٨٥٦ ــ ١٩٢٠ اصدر جريدة «طرابلس» سنة ١٨٩٢ مع مطبعة البلاغة .

(١١) نعوم مكرزل توفي سنة ١٩٣٢ اصدر جريدة « الهدى » بتاريخ ٢٢-٢-١٨٩٨ .

(١٢) لويس شيخو اليسوعي ١٨٥٩ ــ ١٩٢٧ اصدر « المشرق » سنة ١٨٩٨ واسس المكتبة الشرقية .

(١٣) علي ناصر الدين اصدر « الصفاء » بتاريخ ٢٢-٢-١٨٩٨ .

(١٤) الشيخ ابراهيم اليازجي ١٨٤٧ ــ ١٩٠٦ اصدر مجلتي البيان ، والضياء .

(١٥) الشهيد سعيد عقل ١٨٨٨ ــ ١٩١٦ اصدر «البيرق» سنة ١٩١١ .

(١٦) الشهيد الشيخ احمد حسن طبارة ١٨٧٠ ــ ١٩١٦ اصدر « الاتحاد العثماني » بتاريخ ٢٢-٩-١٩٠٨ .

(١٧) الشهيد عبد الغني العريسي ١٨٩١ ــ ١٩١٦ اصدر «المفيد» سنة ١٩٠٩ .

(١٨) محمد رشيد رضا ١٨٦٥ ــ ١٩٣٥ اصدر مجلة « المنار » سنة ١٨٩٨ .

(١٩) الشيخ احمد عارف الزين ١٨٨٤ ــ ١٩٦٠ اصدر مجلة العرفان سنة ١٩٠٩ .

بيروت ــ المزرعة ــ شارع زريق **محمود الحسنية**



سعيد ابو الحسن

نيران على القمم
سيرة ذاتية

بقلم سعيد ابو الحسن

✿ ✿ ✿

(٣)

طفولة ودراسة واحتلال

حين بلغت الخامسة من عمري قادني والدي الى المدرسة التي تقدم وصفها ووصف نموذج من معلميها . وكنت كلما كبرت ادركت اكثر فاكثر ما كان يدور حولي — فقد لاحظت مثلا — ان بعض معلمينا لم يكن نشاطه يقتصر على التدريس ، بل كان يستقبل رجالا ايكتب لهم حجبا ليتوفقوا في حبهم — وكان بين هؤلاء — بخاصة — شاب علقت صورته في ذاكرتي وهو يتلوى ويتأوه ، ويستغيث بالمعلم : انها لا تستجيب له فيريد ان تفعل بواسطة الحجاب ، — وهذا الشخص كنت اراه في مناسبات اجتماعية متنوعة وانا شاب وكهل ، ولم اره مرة الا ذكرت حالته المضحكة تلك — ولم ادعه يشعر بذلك ، ما زال حيا حتى كتابة هذا الفصل ، ومع ذلك فهو لا يدري انني ادري .. مسكين .. الا ان هذا لم يمنعه ان يكون محاربا شجاعا ، وان يصاب بكسر احدى ساقيه في احدى المعارك المقبلة .

سأروي الحوادث من الان فصاعدا بترتيب ازمنتها — فمن الان فصاعدا صرت واعيا وذاكرتي تسجل كل شيء . وكانت العادة عندما يحفظ التلميذ كتابا ان يكتفه المعلم ويسير مع التلاميذ وراء المكتوف في موكب متجهين نحو منزل اهل المكتوف ، وهم يغنون طوال الطريق :

يا مين يفك المكتوف ويعمل معنا هالمعروف

وعند وصولهم يستقبلهم والد التلميذ عند بوابة الدار ، ويقدم للمعلم اكرامية يدسها في يده ، ويمد يده فيفك ابنه ويقبله .

والمقصود بفك المكتوف هو دفع الاكرامية — ثم يدخل الجميع الى المنزل حيث يقدم لهم المحلى (وهو الرز المطبوخ بالسكر والقرفة ، او بالدبس العنبي والقرفة وفوقه طبقة من الجوز في كلتا الحالتين) او السليقة وهي القمح المسلوق المزوج بالسكر او الدبس والمغطى بالجوز ايضا ، حفلة لطيفة على ما فيها من بدائية وبساطة لانها كانت تحفز كل تلميذ على ان يكون هو المكتوف التالي وتسعد الابوين ايما اسعاد .

كنا في المدرسة ذات يوم واذا بالمعلم يستقبل شيخ القرية وبعض وجهائها ويدور بينهم حديث — ثم ينصرفون فيخبرنا المعلم باننا سنذهب غدا الى الخراب لاستقبال جنرال فرنسي قادم من السويداء — لقد تبدل الزمن فجأة فاذا نحن التلاميذ الصغار نقوم بدور غير دور الدراسة : سننتظم صفوفا ونستقبل فاتحا ، غازيا ، اجنبيا . لم نكن نعي آنذاك عام ١٩٢٠ ما دار في ميسلون ودمشق — وكيف ندري ونحن على مسيرة ثلاثة او اربعة ايام من دمشق ولا جرائد ولا راديو ولا هاتف ، ولا سيارات ، حتى ولا طرق ممهدة ؟

ومنذ الصباح الباكر بدانا نسير باتجاه الخراب — طريق السويداء القديمة التي سلكها الجيش التركي اكثر من مرة ، وسلكها حينما ابيد في الخراب ، هذه الطريق ذاتها يسلكها الان غاز جديد . وصلنا الى موقع على مسافة نحو ثلاثة او اربعة كيلومترات من القرية ووقفنا بانتظار الزائر المنتظر . لم يبق رجل في القرية : كلهم خرجوا للاستقبال . لم يكن لديهم من الوعي ما يسمح لهم بالتمييز بين الفاتح او زائر ، بين استقبال المحتل الجديد او الفرجة على رجل اجنبي ياتي البلاد لاول مرة . لقد ارتدى كل واحد اجمل ثيابه ، وتزاحموا بالاكتاف ، ولا يتقدم واحد منهم واحدا وضعه العرف الاجتماعي امامه . الشيخ

في الطليعة ، ثم رؤساء العائلات ــ وترتيب كل منهم معروف مكان ختمه على الورقة معروف (عندما تنظم مضبطة او عريضة جماعية يختمها وجهاء القرية فكل واحد يختم في الموضع المخصص له والذي كان مخصصا لابيه وجده من قبله) وعندما يصطفون في حفل ، او يدعون الى التحلق حول الطعام ، فهذا الترتيب محفوظ : بمعنى انه لا يحق لاحد ان يتقدم قبل ان يمر اصحاب الاختام ــ هذا كان منتهى المطامح ..

وصل القائد المنتظر على صهوة جواده بلباسه الاصفر (الذي تعلمنا فيما بعد ان اسمه الخــاكي او الكاكي) وقبعته المستديرة ذات الواقية الامامية ، وعلى كميــه وحوالي قبعته اربع او خمس شرايط مذهبة ــ اشقــر اللون مديد القامة . وكان يرافقه رجل مدني عرفنا انــه الترجمان وعدد من الجنود ــ وعند وصولهم ترجلــوا وتسابق الرجال الى مصافحة القائد ــ وبدأ مرافقــوه يوزعون صورة الجنرال غورو ــ واهم ما عرفناه يومها ان الجنرال غورو بطل ، وانه اكتع ، وان يده المفقودة فقدها في احدى المعارك مع الالمان . نحن الاطفال كان كل همنــا من الاستقبال الفرجة ، وكل مكسبنا الصورة . واستأنف الزائر ومرافقوه السير نحو القرية ، والاهلون وراءهم ، ونحن وراء الجميع ، ولم ندرك بعد هذا شيئا مما جرى او يجري ــ فالشيخ ورؤساء العائلات وحدهم يستقبلون ، ويجاملون ، ويتزلفون . والمواطن العادي ما يزال بينــه وبين الاهتمام المباشر بشؤون بلده وشجونه مسافة طويلة لن يجتازها الا بنضال وتضحيات .

ولا يفوتني ان اسجل هنا ــ فقد لا تتاح لي الفرصة مرة اخرى لافعل ــ ان ازياءنا تلك الايام كانت اقرب الى ازياء البداوة المتطورة المترفة : فالرجال بالكوفية والعقال، والجبة الجوخ المطرزة بالبريم الحرير الذي قد يكون مذهبا او مفضضا . فوق القمباز او الصاية وهي كالقمباز لكن من قماش اخف ، والشروال (السراويل) ، وتحت الكوفية والعقال الشعر الطويل المتدلي حتى الكتفين مضفــورا (جدايل) او محلولا ، والعيون السود الواسعة يزيدهــا الكحل الاسود (الاثمد) اتساعا ويعطيها جمالا ووحشيــا يصل احيانا حد اثارة الرعب .

اما نحن الاطفال فنرتدي هذه الازياء ذاتها ، ما عدا العقال فلا نبدأ نلبسه الا بعد ان نبلغ الرابعة عشرة او الخامسة عشرة . والكوفية تتراوح بين الشاش الابيض العادي مغموسا باللون النيلي (الازرق) او بلا غمس ، والشاش الاسود الذي يولع به بعضهم ، والحرير الابيض او السكري المهدب .

ويشذ عن هذا الزي العام زي الرجال المتدينين ، او الذين لهم صلة بالدين : فهؤلاء حليقو الرؤوس تماما ويلبسون عمامة بيضاء مكورة فوق طربوش مغربي ، بــلا كوفية تحتها اذا كانوا قد بلغوا منزلة رفيعة في التدين ، وفي هذه الحال لا بد من لحية وشاربين تترك على طبيعتها، ومن العار ان يمسها مقص ، ما عدا منطقة العنق تحت الذقن كان قسم منهم يحلقه بالموسى ، وهذه العمليــة تدعى «الحنجرة» اي حلاقة الشعر النابت بجوار الحنجرة وتطور هذا مع الزمن فصار يمكن ان يكون المعمم من هذا النوع بشاربين بلا لحية . ويأتي بعدهم في المنزلة الذين يلبسون العمامة فوق الكوفية ، او الكوفية فوق العمامة (والعمامة يلازمها الطربوش المغربي في جميع الاحوال) وهؤلاء بعضهم ملتح وبعضهم بشاربين فقط .

وفي الدرجة الثالثة من المتدينين يأتي الذين يلبسون فوق رؤوسهم الحليقة طاقية بيضاء تعلوها كوفية ، وتعلو الكوفية عصابة تعقد من امام ، شبيهة بالتي نراهــا في الرسوم على بعض المصريين .ولكن المصريين يلبسونها فوق الطاقية وبدون كوفية ــ وهؤلاء كانوا بشاربين بلا لحية ، لان ترك الشاربين كان الزاميا لجميع الرجال ، ومسهما بأي شكل عيب ، والتعريض بهما عيب والقسم بهما اعظم قسم من يحنث به يفقد احترامه بين الناس .

والاسم الشامل الذي يطلق على الذين لهم صلــة بالدين « العقال » بينما يطلق على البقية وهم الاكثريــة اسم « الجهال » ــ والعقال يستحيل عليهم التدخين والتلفظ بأية لفظة نابية ، بينما الجهال لا شيء يمنعهم من التدخين ــ اذا شاؤوا ــ على ان التدخين كان نادرا حتى بين الجهال في ايامنا تلك ــ والصدق اكبر مزية يتحلى بها « العقال » حتى انهم لا يقبلون ان يحلفوا ولا يمكــن ان تسمع احدهم يقول « والله » وذلك تكريما لاسم الجلالة من جهة ، وعلى افتراض ان الصدق عندهم مسلمــة لا تحتاج الى دليل ، من جهة اخرى .

والعمل المتواصل ديدن الجميع : اشرف الاعمــال العمل الزراعي ، الارض الطاهرة الوفية تعطيها حبــة فتردها لك عشرا او عشرات ، وتودعها نواة مغلقة فتردها لك شجرة وارفة الظل يانعة الثمار . الا ان الاجتهــاد والمثابرة كانا متفاوتين : فقد تكونت بعد الحركة العامية طبقة من المالكين المتوسطين او الصغار اصابت من الثروة حدا جعلها تترك العمل للمرابعين والاجراء ــ امــا هي فتفرغت للراحة واستقبال الضيوف ، والقيام برحــلات الى القرى المختلفة لزيارة الاقارب ، او اقارب الاقارب ، او الاصدقاء ، لمجرد قضاء الوقت تارة ولمناسبات الفرح، او العزاء ، او حل المشاكل تارات اخرى . وهذا يؤدي الى تعطيل للعمل في طول البلاد وعرضها ، يرافقه تبديد للثروة في استهتار وعدم شعور بالمسؤولية لا مثيل لهما ــ ويرافقه حب للظهور قتال ، وتمسك بالقشور فتــاك ، وثرثرة وافتتان في اساليب الحديث والحوار لقتل الوقت وكسب الشهرة الفارغة ، مما سيجيء وصف بعضــه في تضاعيف هذا الكتاب .

لنعد ــ بعد هذه المعترضات ــ الى حيث وصلنا من

استقبال اول ممثل للدولة الفرنسية المنتدبة ـ والذي يتعلق بي انا من هذا الامر هو افتتاح المدرسة الرسمية في قريتنا بعد ذلك بسنة او سنتين ـ لقد جاءنا استاذ من قبل الحكومة يرتدي اللباس الاوروبي ويدرسنا العربية والفرنسية ، بل الاصح يدرسنا كل شيء بالفرنسية . واللغة العربية لغة ثانية تدرس كلغة فقط ـ اما العلوم كلها فكانت بالفرنسية : التاريخ ـ الجغرافيا ـ الحساب ـ والحديث بالفرنسية كان يتدرج من الالزامية المتساهلة حتى الالزامية المؤيدة بالعقوبة عند المخالفة . وصار هنالك شارة Signal وهي كناية عن قطعة خشبية بحجم حجرة الدومينو ، يعطيها من يقترف مخالفة النطق بلفظة عربية ، ويصبح همه ان يتخلص منها فيعطيها مخالفا آخر وهكذا .

ولكننا في الواقع كنا متعطشين للعلم ، وجاءتنا الفرصة فاقبلنا عليها نغتنمها ولا نضيع الوقت ـ وما كنا لندرك ابعاد السياسة ، وما كانت سننا ولا وعينا الاجتماعي المحدود ، ليسمحا لنا بالتمييز بين نظام حكم وآخر ، ولا بين احتلال واستقلال . ولا سيما اننا لم نكن نرى في القرى غير مدير الناحية ، وهو احد زعماء قريتنا، وحرسه المؤلف من خمسة وعشرين خيالا يرتدون لباسا عربيا موحدا من الكوفية والعقال ، وجبة الجوخ المطرزة، الى الجزمة الخيالية الحمراء ذات (الكعب) الحديدي ، والشرابة الكبيرة الملونة المقصبة ايضا . فهم على جيادهم كأنهم صور بديعة متحركة ، ببنادقهم الالمانية او العثمانية الجديدة ، واذا ساروا فتسمع لاعقاب جزماتهم صوتا رتيبا يرافقه هزات الشرابة يمينا وشمالا وصعودا وهبوطا كانت هذه المناظر تثير فضولنا واعجابنا ،وندرك ان وراءها مالا يدفع ونفوذا يصنع . ولكننا لم نكن قد بدانا ندرك ابعاد قضيتنا القومية ، فذلك الادراك سيجيء مع الزمن.

كنا في المدرسة اجيالا متفاوتة : كان هنالك من هم اكبر مني بسنوات ، ومن هم في عمري ، ومن هم اصغر ـ ونظمت الصفوف في المدرسة ، بعد ان جلبت لها مقاعد خشبية ، وصار الاستاذ يجلس على كرسي وراء طاولة ووراءه السبورة (اللوح الاسود كما كنا نسميه انذاك) ـ وكنت الاول في صفي ، ولولا سني لكنت الاول في الصف الاول ، ولكن ذلك سيجيء في اوانه .

وكان المعلم ذا نفوذ واسع في القرية ، لا يقتصرنفوذه كمدرس ، بل يتدخل في الشؤون العامة والخاصة ، يوجه ينبه ، يزور ويزار . وكان آباؤنا يتسابقون الى دعوته الى بيوتنا لتناول الطعام ، وكان حين يجيء يحمل معه قطعة من الشوكولاتة للاطفال في البيت .

واخذنا ندرك انهم جعلوا من جبلنا دولة سموها « دولة جبل الدروز المستقلة » وهكذا اصبح « جبل حوران » « جبل الدروز » بقدرة الحكومة المنتدبةوالموالين لها من الزعماء ـ والخمسون الف من السكان ، دولة، مرتبطة بالمفوضية العليا الفرنسية في بيروت مثلها مثل بقية الدويلات السورية . وجرى الاحصاء العام واعطينا تذاكر نفوس (هوية) باسم الدولة الجديدة . ونصبوا شيخ قرية عرى ، سليم الاطرش حاكما للدولة البدعة واعطوه لقب «امير» وقبل ذلك لم يكن في الاسرة الطرشانية اي امير ، بل كان كل شيخ قرية منهم يحمل لقب «شيخ» فقط فيقال « الشيخ فلان » او « فلان الشيخ » بتقديم الاسم او اللقب لا فرق ، وحمل بعض الشيوخ لقب باشا او بك اطلقه عليهم الاتراك او الحكم الفيصلي ، وتدرج الناس في عهد الفرنسيين فاطلقوا لقب «بك» على الشيوخ وعمموا هذا اللقب فاطلقوه على كل زعنفة من زعانف رؤساء العائلات .

بدات حياتنا في المدرسة تنتظم شيئا فشيئا ـ صارت الحصص معروفة ، والمواد المقررة ايضا ، وصار يتخلل وقت الدراسة وقت للراحة ، ودخلت في حياتنا دروس الرياضة البدنية ، والالعاب ، وكرة القدم ، فضلا عن تطوير العابنا القديمة ، مثل كرة اليد (الطابة) ، وسباق العدو ، والسبركة (١) ، والكعاب (٢) ولعبة الكلة (الماز) (٣) ، والفشك (٤) ، والدوش (٥) وسواها ، وكلها تنتج قوة البدن ودقة الحركات والاصابة . وكانت الامتحانات تجري دوريا كل ثلاثة اشهر ، ثم في نهاية العام الدراسي ، وتوزع الجوائز على المتفوقين ، والجوائز كانت من الكتب الفرنسية المصورة على الاغلب ، ولكن لباسنا ظل على حاله ، ظل اللباس التقليدي ، كلباس اهلنا ، ما عدا العقال ، وتطورت هيئة الراس فاصبح الشعر يقص ولا يترك منسدلا او مضفورا كما كان في الماضي ، وبدانا نعتني بالنظافة والمظهر اكثر فاكثر . وبدا بعضنا يسير مكشوف الراس ، وهذه بادرة نظر اليها باستهجان بعض المتزمتين في القرى .

والحدث البارز في حياتنا الدراسية ـ الى جانب ذلك كله ـ كان يوم تقرر اشتراك تلاميذ المدارس في احتفالات عيد الاستقلال . حدد العيد في الخامس من نيسان من كل عام . وكانت الحكومة تلزم الاهالي جميعا بالذهاب الى السويداء للاشتراك في الاحتفالات : فتزحف البيارق وتحتها رجال القرية جميعا حاملين السلاح ، هازجين ، مرتدين اجمل ملابسهم ـ وكانت تنصب الخيام وبيوت الشعر الواسعة ، بمعدل بيت على الاقل لكل قرية، فضلا عن الخيام المزركشة الاخرى ـ السرادق ـ التي ينصبها الشيوخ البارزون لاستقبال كبار الرسميين .

وكان التزاحم في الكرم على اشده ، فهذا شيخ مشهور بالكرم ينحر كذا من الذبائح يوميا ويسكب السمن حتى يسيل في ساقية ، وذلك يملأ حلة كبرى (خلقين) من الشراب (ماء وسكر وليمون مصبوغ بمادة ملونة) فيشرب المارة من هذا الشراب طوال يومهم ، وتدور المقارنات ، والتفضيلات ، وتنقل الشائعات ، وتولد

الخصومات ، ثم المعارك ثم المصالحات ـ ثم ... ثم اجنبي خلق هذا كله ليضحك ، ويلهو ، ويطمئن دولته الى ان شعبا يلهو بهذه التوافه ، وله هـذه المظاهر من التخلف المزري ، لا يخشى جانبه ، وسيبقى خاضعا راضيا بنعمة الحكم الاجنبي الى الابد . فالحكم الاجنبي يضمن له موارد لهذا الترف السافر ، ويحميه من ردات الفعل الممكنة . وما دام يشجعه ، ويصفق له ، ويقره على عاداته ، ويفرح بتخلفه ، فهو نعم الصديق ونعم المتفهم لواجبه ...

وكان يوم : قيل لنا : « اعدوا لباسا من الخاكي لانكم ستشتركون في احتفالات العيد هذا العام » . وكان ذلك في عام ١٩٢٤ ـ وجلب القماش والخياط المناسب واعد اللباس الشبيه بالعسكري ، وشعرنا لاول مرة في حياتنا بالنشاط والاستعداد للحركة ـ وكان اللباس فضفاضا بعض الشيء ، فالخياط كان على عجلة من امره ولم يكن من الخياطين البارعين ، ومع ذلك فقد كان هذا حدثا بارزا في حياتنا ـ واخذنا نتباهى بلباسنا الجديد الذي ارتديناه للاستعراض ، قبيل سفرنا الى السويداء ببضعة ايام . وكان السفر الى السويداء سيرا على الاقدام اذ لم يكن هناك سيارات ولا وسائل نقل اخرى ـ ولنا اسوة برجال القرية الذين يسيرون تحت بيرقهم على الاقدام ايضا . والمسافة بين عرمان والسويداء تبلغ نحوا من خمسة وثلاثين كيلومترا عن طريق الخراب ـ الكفر ـ الرحى ـ السويداء ـ واذا كان الرجال يقطعونها في يوم واحد فنحن الصغار يجب ان نقطعها في يومين ـ والكفر هي منتصف الطرق فيجب ان نبيت فيها ـ ونزلنا ضيوفا على شيخ القرية ، الشيخ اسعد مرشد . وقد اعد لنا عشاء كأننا ضيوف كبار ولا سيما ان معلمنا معنا ، وان تلاميذ الصف الاول كانوا كبارا وان لباسنا الخاكي يوحي بالهيبة والوقار . وكان تلاميذ الصف الاول هم العرفاء ، وكل فريق منا يعرف عريفه ـ وتحضرني هنا ذكرى لا ارى بأسا في ايرادها لانها تدل على انني بدات اخرق العادات والتقاليد غير المعقولة منذ صغري : فحين كنا متحلقين حوالي المنسف نتناول طعام العشاء ، شعرت بالظمأ ونظرت حوالي فلم اجد ماء ، وكنت خجولا فلم اجد من المناسب ان اطلب الماء من احد المضيفين (المعازيب) كما تقضي العادة ، فقمت لاشرب من الطاسة الموضوعة على حافة خابية الماء ، وكان يترتب على قيامي عن الزاد الا اعود اليه ، حسب العادة ، فقال لي العريف : « كل واشبع ، لماذا قمت ؟ » فقلت له : « انني قائم لاشرب ، ولم اشبع بعد ، وسأعود الى مكاني هذا استانف الاكل » ـ فدهش الحاضرون جميعا لان مثل هذه الجراة في الزمان والمكان الذين جرت فيهما تعد ثورة اجتماعية ..

لم اشأ ان اسخر انسانا ليجلب لي الماء ولكني لم اجبن فأبيت جائعا من اجل ارضاء عادة سخيفة ..

وحينما وصلنا ، في صباح اليوم التالي ، الى قرية الرحى على بعد خمسة كيلومترات من السويداء تقريبا ، لم يكن بيرق بلدتنا قد وصل بعد ، فوقع المعلم «الحصيف» في حيرة : هل يتابع السير بنا الى السويداء فندخل وحدنا بدون البيرق ، ام ننتظر البيرق لندخل معا؟ وبدلا من ان يتخذ قرارا راى ان يرسل تلميذين يسألان الحاكم الفرنسي رايه في الحل المناسب . ووقع الاختيار علي وعلى رفيق لي باعتبارنا اقدر الجميع على التكلم بالفرنسية . وذهبنا سيرا على الاقدام الى السويداء ، ووصلنا الى « بيت » عرمان ، فوجدت خالي هناك . وطلبت اليه ان يرشدنا الى مكان الكابتن كاربيه ، فقال لنا انه يتناول طعام الغداء على مائدة احد الشيوخ في خيمة مجاورة . وقادنا الى تلك الخيمة : ودخلت وكأنني دخلت الى عالم آخر . فهنا على مائدة مستطيلة ، امامي عشرات من الضباط والمدنيين والسيدات يتناولون الطعام ويشربون ـ فتقدمت الى كاربيه ، وسلمت عليه ، وسألته عما يجب ان يفعل معلمنا (الذكي) واجابني ، في لطف ، بأنه ليس من الضروري انتظار البيرق ، فليدخل التلاميذ وسيلتقون بالبيرق في السويداء بعد وصوله اليها ، خلال هذا الحوار القصير كانت عيون الموجودين جميعا مركزة علي ، ودهشوا لهذا « الصغير العرماني » ـ حسب تعبير كاربيه ـ الذي يتحدث بلغة فرنسية سليمة ـ ويظهر انني كنت صبيا لا بأس بشكله ، فاذا الايدي تتلقفني ، وتتجاذبني السيدات لتهنئتي مصافحة باليد ، وتقبيلا على الجبين او الخد ، واذا انا اخرج من تلك المقابلة شخصية ذات شأن ، واذا كل البلدة تتحدث عني .

وعدنا الى الرحى ، ثم عدنا من الرحى الى السويداء مع المعلم والتلاميذ ، بعد ان ابلغنا الاستاذ نتيجة سفارتنا وهكذا كان من نصيبي ونصيب رفيقي ، الذي ظل صامتا يتفرج فقط ، ان نسير عشرة كيلومترات زيادة على المسافة التي سارها الجميع . ولكن مكافأة اخرى كانت تنتظرني .

ففي الايام التالية برد الجو واخذ الثلج يتساقط ، وكنت سائرا في الشارع اعدو باتجاه المخيم ، حينما فوجئت بكاربيه يناديني من على الرصيف بقوله « ايها الصغير العرماني » فالتفت اليه وكان قد اخذ يعدو باتجاهي ، وتناولني بين يديه وادخلني دكانا على ناصية الشارع وطلب الى صاحب الدكان ـ وكان اسمه حبيب ـ ان يقدم لي شرابا يدفئني . فقدم لي شرابا اخضر اللون حين جرعت اول جرعة منه عرفت انه من النعناع وشعرت بالحرارة تنتشر في كياني كله . وحينما خف تساقط الثلج شكرت الحاكم وصاحب الدكان وودعتهما وانصرفت ـ وكان هذا اول عهدي بالحاكم الذي سيكون المسبب المباشر لثورة ١٩٢٥ .

لعله من المناسب ان اشير هنا الى انني حضرت

احتفالات العيد مرة اخرى في نيسان ١٩٢٥ ، ولان الثلج كان يفاجيء المحتفلين اكثر الاعوام فقد قرروا تغيير موعد العيد الى الصيف او الخريف ، وستعلن الثورة في تموز ١٩٢٥ ولن نتحدث عن هذا العيد مرة اخرى ، فيكفينا من المساخر مسخرة واحدة ..

ولكن لا بد لي هنا من وقفات خارج حياتي المدرسية وقفات في حياتي كانسان ـ واكتشافاتي لما حولي من حقائق الحياة .

ففي عام ١٩٢٣ او ١٩٢٤ كان قد توفي شيخ قرية متان مصطفى الاطرش ، وكان الرجل مشهورا بجراته ومعاركه التي خاضها ، واشترك في مأتمه الالوف المؤلفة جاؤوا من كل حدب وصوب : من لبنان ـ من دمشق ـ والغوطة ـ من اقليم البلان ـ وجبل الشيخ ـ والجولان ـ من كل قرى الجبل ـ واشترك الرجال والنساء ، وذهبت والدتي مع الذاهبات وكنت معها ، وكانت جدتي لامي ايضا ، ولا ادري من كان من افراد العائلة : ففي هذه المناسبات تفرغ البيوت وتتوقف الاعمال ويتجلى التخلف في ابشع مظاهره .

كأن الحياة تتجمع في حادثة وفاة ، وكأن الذي لا يحضر المأتم ليس جديرا بالحياة . ونزلنا ضيوفا على احدى عمات والدتي المتزوجة في متان من رجل من عائلة قطرب ، وكان وصولنا مساء فالمسافة بين القريتين اثنا عشر كيلومترا ، وفي صباح اليوم التالي شهدنا الحشد الهائل : وفود لا حصر لها تأتي وتقدم التعزية بالصوت الجهوري والف عبارة من الالسنة تدل على البراعة في الكلام اكثر مما تدل على صدق العاطفة ، وتحضر الجماهير من لبنان وهي تردد ندبها وتنظم هذا الندب المليء مبالغة وبلاغة . « وابو علي » كنية المتوفي ، تتردد على جميع الالسنة ومن جملة المشاهد التي لفتت نظري خروج فرس المرحوم في مأتمه ، الفرس مزينة وعلى مقدمة سرجها صورة للمرحوم ، يؤطرها سيفان متصالبان ، يمسك بكل واحد منهما رجل ، يسير بمحاذاة الفرس من احد جانبيها ، ويقابله زميله من الجهة الاخرى ، والفرس تسير وهي تحرك راسها ، وقد رشوا الفلفل في عينيها لتسيل دموعها وتظهر وهي تبكي فارسها ـ الانسان ذو العواطف الزائفة يزيف عواطف الحيوان كذلك ـ ..

ومشهد آخر لفت نظري ايضا وهو وصول سيارات وكانوا يسمونها بالاسم الفرنسي اوتوموبيلات ، وكانت من نوع الفورد ذي الخيمة . ولكن مشاهدتها لاول مرة كانت حدثا بالغ الاهمية .

كانت السيارات تحمل الرجال الرسميين الفرنسيين القادمين من السويداء . وانتهى المأتم ، وعدنا ادراجنا بعد ان ازعجنا بيت عمة والدتي ، واهملنا بيتنا ، وتكون لدي اشمئزاز من المأتم ، ومن هذه العادة السخيفة ، وهي اهمال الاحياء من اجل الاموات ، ورافقني هذا الاشمئزاز طوال عمري: وتصورت وراء هذا الحادث عادات مستحكمة متحكمة طاغية ، لا يناقشها احد ولا يفكر في نفعها او مضرتها احد . خلقها الاقطاع ، وفرضها على المواطنين ، وقد تخلصوا من الاقطاع ، ولم يتخلصوا من هذه العادات وهي من صنعه ومن مبررات وجوده ، ومن اسس نظامه :
كنت اشاهد الاطفال الرضع على اكتاف امهاتهم والذباب على وجوههم وداخل محاجر عيونهم الدامعة المعشاء المصبوغة بالاحمر الزاهي ، وهو لون قطرة شعبية يسمونها الدودة . والام لا تهتم بالطفل بل تكتفي بأن تضع بين يديه قطعة من الانابيب الملونة (وهي من السكر المسكوب بشكل مستطيل كالاصابع) تذوب وتسيل ملء كفيه ، وفوق راس والدته ـ وهو على كتفها ـ والذباب يجد لنفسه مرتعا خصبا من السكر الذائب الوسخ ، وفي الوجه والعيون الملطخة بالسكر وبالوسخ ايضا ـ كل هذا من اجل ان تشترك الام المحترمة في مأتم لا علاقة لها به من قريب او بعيد . وستظل المآتم سببا رئيسيا من اسباب التخلف في بلدي زمنا طويلا طويلا ..

---

(١) السبركة (سين مشددة مكسورة وباء مكسورة وراء مشددة مكسورة) لعبة تقوم على اساس جماعي : فهناك حجر كبير وسط الساحة اسمه حجر السبركة . يحرسه احد اللاعبين ويهاجمه اللاعبون من جميع نقاط الدائرة المحيطة الواسعة (دائرة الساحة) ـ يهاجمه لاعب من هنا ولاعب من هناك ، ويحاول المهاجم وضع قدمه على حجر السبركة وهو يصيح (سبركة) ، فاذا فعل ذلك دون ان يصده حارس السبركة يكون هو الرابح ويتولى بدوره حراسة الحجر ـ والا فيستمر اللعب حتى ينجح مهاجم آخر وتستمر اللعبة ساعات ويتبدل الحراس واحدا بعد واحد الى نهاية اللعب (حين يتعب الجميع) ـ ويكون صد الحارس للمهاجم بأن يمسه بقدمه ولا يجوز استعمال اليدين لا من قبل المهاجم ولا من قبل المدافع .

(٢) العاب الكعاب كثيرة ومعروفة ، تستخدم فيها كعاب الذبائح من الغنم والماعز بعد تنظيفها ، وتقوم على اساس ان يربح اللاعب كعاب خصمه ، او يخسر هو كعابه ، ولها قواعد متعددة يعرفها الناس.

(٣) كذلك العاب الكلة (الدحل او الماز) فهي معروفة وتقوم على اساس الربح والخسارة مثل الكعاب .

(٤) الفشك لعبة تقوم على اساس وضع الفشك الفارغ منتصبا واصابته بالكلة او الدحل او الماز وهو كرة زجاجية ملونة معروفة ومن اصاب الفشكة ربحها ، ويقدر الربح والخسارة بمقدار عدد الفشك الذي يكسبه او يخسره اللاعب .

(٥) الدوش حجر مستدير منحوت مرقق وسعه وسع الكف تقريبا وتقذف به كرة حجرية من بعيد حتى تدخل الكرة في حفرة صغيرة معينة ، والربح او الخسارة يتوقفان على النجاح في ذلك او عدمه .

السويداء ـ سورية

سعيد ابو الحسن

لبنان وحدائق صمتي

مي ناصر بدوي

الدار البيضاء ــ المغرب



ترحل الطيور عن تربتي ..
ذاك البوح بابي ..
هذا النهر دمعي
ذاك الصمت موتي ..
للوجه بابان ودمعتي ..
تمور .. وتمور في داخلي ..
يراقص اليأس مهجتي ..
أسأل ماذا هنالك يا قدري ؟
ادق بابه يوما وشكوتي
كانت ايام مضت وغربتي ..
عادت الذكريات تسألني ..
الا تحفظين عهدا وانت التي ..
يتململ الصدق في صدرها
وصدري ..
قلت لاطرق الباب
وحدائق صمتي ..
هذه الحديقة يوما بوردة شيعتني ..
ببسمة ود .. رشفتها .. رشفتني .
تقدمت خطوات لم يعرفني ..
ساءلته .. ما بالك ؟ هل نسيتني ..
نظر الي حائرا
قائلا : اعذريني ..
فالذاكرة .. خانتني ..
قلت انا ابنة الجنوب
اتذكرني ..؟
ام ان موج الغرب عن شرقي اقصاني ؟
أختاه .. لا تعتبي ..
لا تلوميني يا ابنة الجنوب
على الدروب انتظري ..
قالها مبتسما ..
الحزن لون مقلتيه ومقلتي ..
حزينة انا ..
قلتها وليلي ..
امتداد النهار يغتالني ..
ابتلاجة الفجر تشيعني ..
ثم يأتي الصباح
اراه كالجزار يقتلني ..
اسمع صوتا ..
يهتف انهضي ..
أتقدم خطوات .. للشمس يقدمني
ترى احواري مع نفسي .. ؟؟
ام معك يا لبنان
يا قدري .

قراءة غير رمزية لـ «لمن ؟»

بقلم الدكتور جورج ديمتري سليم

* * *

لالبير اديب (١٩٠٨–) مجموعة صغيرة من الشعر الطلق الرمزي عنوانها « لمن ؟ » ، ظهرت في فبراير (شباط) ١٩٥٢ عن دار المعارف بمصر (١) .

قرات هذه المجموعة مرات ومرات . قراتها مرات قراءات رمزية ، وقراتها مرات اخرى قراءات غير رمزية . كلما رجعت اليها في قراءاتي الرمزية فجرت في ذهني صورا جديدة لانهائية لانها مضغوطة غاية الضغط ، مشحونة اشد الشحن ، على طبيعة الشعر الرمزي الحق . يكفي ان نتذكر هنا ما كتبه علي احمد سعيد (ادونيس) (١٩٣٠) عن الرمز . قال :

« حين لا ينقلك الرمز بعيدا عن تخوم القصيدة ، بعيدا عن نصها المباشر ، لا يكون رمزا . الرمز هو ان يتيح لنا ان نتأمل شيئا آخر وراء النص . فالرمز هو – قبل كل شيء – معنى خفي وايحاء . انه اللغة التي تبدأ حين تنتهي القصيدة ، او هو القصيدة التي تتكون في وعيك بعد قراءة القصيدة . انه البرق الذي يتيح للوعي ان يستشف عالما لا حدود له ، لذلك هو اضاءة للوجود المعتم واندفاع صوب الجوهر » (٢) .

اما وهذه هي حال الرمز ، فلست احب ان ابتعد بالقارىء عن تخوم « لمن ؟ » لاحلق به بعيدا في عالم هو عالمي انا الشخصي ، لا عالم اديب الشعري ، بل احب ان اقترب بالقارىء من عالم « لمن ؟ » محاولا التركيز على بعض افكار اديب كما دونها هو في ديوانه في بعض مراحل حياته ، فهذا في الحقيقة اجدى واوقع .

ليس مصادفة ان تكون قصيدة « حياتنا » افتتاحية « لمن ؟ » ، فالحياة هي الفكرة الاساسية الوحيدة التي شغلت البير اديب ، وظلت دون غيرها من الافكار ماثلة امامه . انها المحور الذي حوله يدور الديوان .

هذا ما قادتني اليه قراءة احصائية كمية لـ « لمن ؟ » لقد ترددت كلمة « حياة » ١٩ مرة في ٩ قصائد ، فحازت بذلك على المرتبة الثانية في قائمة الفاظ « لمن ؟ » بعد الفعل « قال يقول » الذي تردد ٢٢ مرة في ١١ قصيدة نائلا المرتبة الاولى (٣) .

يقول اديب عن حياتنا في « حياتنا » :

« حياتنا ، شباب وفكر اخضر
وعواطف من عمل الربيع
وقلوب من ندى الفجر
نجمعها ونغسل بها ارض الازقة
او نروي بها رمال الصحراء .
هي ليلة ، ثم ضحاها
واذا الزوبعة تذهب بنا
فتأخذ معنا كل احلامنا واما نينا .
ونحن على قدم من الهاوية او اقل
ما زلنا نؤسس ، ونبني ونقيم .
فما اسخفنا الا نجعل ايامنا ابتسامة
ونقيم علينا ربا
يعرف كيف يجعلنا نبتسم حتى لانفسنا » .

هذه هي حياتنا ، فقد العقل فيها ، وتغشت الرؤيا ، وصم السمع ، وتملكت الاهواء ، وساد سوء التفاهم ، وتسلط اليأس ، وحطت الجهامة ، وانعدم الايمان . حياتنا جعلناها **حياة قحل ، حياة هدر ، حياة موت** . فليتنا نرجع عن تهورنا وننصت ، **فقد** « انشدتنا الحياة **ربيعا**
زاخر الالوان المنمقة ، **فياض الاماني**
فتندى الزهر باكسير **الحياة**
وانشدتنا الشعر ، **فجر النفوس**
فماد الكون » .

بهذا يذكرنا اديب في « انغام والحان » .

وليتنا نبصر كالاعمى الذي « يبصر دنيا الاماني والحياة » – **في القصيدة نفسها** .

ثم ليتنا نشحذ حواسنا التي تثلمت لنخرج من تلك « الوتيرة البليدة » التي اهلكتنا ، والتي يشير اليها اديب في « الذوق الفني » بقوله :

**« كل شيء في هذه الحياة
وليد العادة ويشتق منها .
نحن نعتاد القبح
ونعتاد الجمال .
والعادة
وليدة الوتيرة الواحدة المتكررة
تدور على نفسها وتدور
فتألف الدوران على العادة
ونألف نحن دورانها
فكأنها مستقرة لا تدور » .**

ويا ليتنا ننفض عنا رداء النوم ونصحو ف « في الحياة

غفو كثير » ، كما ينبهنا اديب في « سراب » .

وفي قصيدة « طفل كبير » يقدم لنا اديب ـ ببساطة متناهية وحكمة ـ مسرحية الانسان كاملة ، كما نمثلها منذ الخليقة . يقول :

« حياة المرء اربعة فصول
تمثل الطفولة البريئة
والشباب الضاحك
والرجولة العاملة العابسة
والكهولة الهادئة .
ويسدل الستار بعد كل فصل ثم يرفع
الا في الفصل الاخير
وقدلا يرفع بعد الفصل الاول او الثاني او الثالث
وقد يرفع مرة في الفصل الاول
فلا يسدل الا في الاخير » .

وبقدر ما في « لمن ؟ » عن حياتنا نحن ، بقدر ما فيها ايضا عن حياة البير اديب نفسه ـ وبكل صراحة . يقول في « حياة » :

« اموت صامتا
كما عشت صامتا
غريبا عن الناس
غريبا عن اهلي
غريبا عن نفسي .
كلمتي ؟
احتضرت في حلقي معي
بعد ان عاشت في فؤادي معي
اموت وانا لم استطع ان الهب بها شفتي
اموت غريبا
كما عشت غريبا
في دنيا الحشرات » .

يكفي ان نقرأ القصيدة السابقة لنحس بشدة الوحشة التي عاناها الشاعر زمنا في حياته العامة والخاصة وان نقرأ من « شرود » الابيات التالية لنرى ذلك الضياع الروحي الذي احاط به :

« هات من عينيك ، هات
فقد اضعت الحياة
ضم راسي لصدرك
نامت على شفاهي الصلاة » .

على ان اديبا ما كان ليستسلم الى هذه الحالة البشعة بعد ان احنكته التجارب ، مرها وحلوها . فقد استطاع من تحطيم القيد المريع ، ومن الفرار من السجن الكريه ، ومن الاقبال على الحياة . وعن هذا يقول في « لنفسي وللناس » :

« لا يعرف هذه الدنيا
الا من كثرت لديه مفاجآت الحياة المختلفة
فازدوجت شخصيته
واصبح يعيش عيشتين
لنفسه وللناس » .

وفي قصيدة « يتيم » يقول :

« حدثتني امي عن كبريائها
فعركتني الحياة بكبريائي .
ترى من انا ؟ من اكون ؟ »

ويردف سؤاله هذا بجواب يوضح شأنه في الحياة ، وموضعه في الوجود :

« لست ادري .
شبح قال لي : خطى الى المجد علياء .
انا قوي الرجاء .
صهرتني الحياة
فخرجت شموخ الانف ، كسير الفؤاد
انا المجد التليد
انا انطلاق الرجاء » .

ويضيف في « انا » فيقول :

« كأني في زحمة الدنيا
اسير انا تهالك من جراحه
يلف بمطرفه الانيق امانيه العذاب
ويعثر في الخطو من اتراحه .
كلما ارسل الطرف بعيدا
شد على الانين بوشاحه .
انا كالاسد الجريح
ان ارسل الصيحة
ارتعدت فرائص الغاب
وجلجلت بنواحه » .

وتحاوره نفسه مرة ، وتجيبه على سؤاله اياها « من انت ؟ » فتقول له على لسان « متمردة » ـ وكأنها تعبث به :

« انا جبار من نار ونور
(قلبي) عبد لعقلي
ايماني اقوى من الوله
لا ابالي باللين ، يقيني جلمد صلد
عرفت اهواء الناس فأشفقت واستخففت » .

ولا يرتاح اديب الى لهجة نفسه الساخرة ـ ان النفس لأمارة بالسوء ـ فيعيد عليها السؤال بقوله « من تكونين ؟ » ، فترد :

« انا رجاء احلامك ، وعفو الخاطر الشريد
ومنى الديم الحالمة ، وامل اليائس الطريد
وري الظامىء العنيد
ورؤيا اشياء هي بعد في مجاهل التكوين
انا صخرة تتكسر على اقدامها كبرياء اللهب
انا اليقين الباطل ! » .

وهنا تتوقف نفسه عن الاسهاب عن نفسها لتسأله بدورها :

« فأما انت ، فمن تكون ؟ »
فيجيب اديب :
« انا عابر سبيل
انا الكريم الضنين
انا الظامىء المرتوي
غفوة الامس ويقظة صداه البعيد
انا مرآة النفس الفاضحة ، وكبرياء السنين
انا العارض القابض
انا صمت الشكاة وبكاء المكابرين
انا دمعة العيون الجامدة ، ورجفة قلوب المائتين
انا لك قدر ما تهزئين » .
واخيرا يقول اديب وهو في « قلق » :
« متعب انا ، يا اختاه
مسح جبيني المجد
واظلم عيني الضياء
من قارورة النفس وهبت امتي
كما يهب الحكماء
فانا ان اعط
تجمد الدمعة في اعين الكرماء
انا ان اخف
فلا خوف الظمأ ولا الكساء
انا ان اخف
فمن عقوق امتي وجحود البلهاء » .

لقد استولت فكرة الحياة على البير اديب استيلاء كليا ، فتسربت الى آثاره الادبية العامة والخاصة ـ تسربت الى اشعاره ومقالاته ، كما تسربت الى رسائله الشخصية . ولعلي لست بخارج عن موضوع « لمن ؟ » اذا اوردت للقارىء اسطر من رسالة مؤرخة ١٥ آب (اغسطس) ١٩٣٧ كتبها البير اديب الى صديق له ، واختار هذا الصديق ان يفشيها في مجلة « الصباح » الدمشقية . كتب اديب :

« رأيت كثيرا ، و « عشت » كثيرا ، وانغمست في صميم الحياة فخبرتها على اشكالها والوانها المتعددة ، وتذوقت حلوها ، وذقت مرها ، فاكتفيت .. ان الحياة اكسبتني من تجاربها مقدارا ... وان لي في الحياة هدفا . وقد استطيع التأكيد فأقول سوف اعمل ليومي وغدي ، ولجسدي وعقلي ، وللناس ولنفسي في كثير من الاتزان وعلى ضوء الهدف ونور المرمى وصبوة الغاية » (٤) .

ولست اجد للختام انسب من الاقتطاف من « لمن ؟ » فأردد مع « الظمآنة » هذه الابيات المستقبلية الآملة :
« وبينما يرسل الفجر من ثغره قبل الوداع
على بقايا العتمة الحائرة
يفتح نسيم الشروق البليل الابواب والنوافذ
وهو يسبح بانشودة الحياة » .

---

(١) تقع المجموعة في ١١٨ صفحة . وقد نفدت هذه الطبعة ، ولم تطبع ثانية على ما يظهر . ويلاحظ ان معظم قصائد المجموعة ـ ان لم يكن كلها . سبق نشرها في مجلة « الاديب » قبل جمعها في الديوان . هذا واظ ن ان تاريخ نشرها في المجلة ـ اعني الاربعينات ـ ليس هو حتما تاريخ نظمها كلها ، فقد يرجع نظم بعضها الى الثلاثينات .

والى القارىء تلك القصائد التي وقعت عليها في مجلة «الاديب»، حسب ظهورها في المجلة ـ في ما تيسر لي من اعداد المجلة هنا في واشنطن.

١٩٤٢ : انغام والحان (يونيو) ، الظمآنة (اغسطس) ، عروس الليل (سبتمبر) ، اشباح من الناس ، حسن تفاهم ، طفل كبير (اكتوبر) .

١٩٤٣ : انا وانت (في الديوان بعنوان « سوء تفاهم ») (يناير)، ظمأ (ابريل) ، متمردة (يونيو) ، بيننا (يوليو) ، شاعر (اغسطس)، الاوكار (سبتمبر) ، النقد الاول (اكتوبر) ، سراب (نوفمبر) .

١٩٤٤ : سهرة (يناير) ، حياتنا (مارس) .

١٩٤٦ : مجدلية (ابريل) .

١٩٤٨ : قلق (يوليو) ، انا (اغسطس) .

(٢) « زمن الشعر » ، طبعة ثانية منقحة ومزيدة . بيروت ، دار العودة ، ١٩٧٨ ، ص ١٦٠ .

(٣) الى القارىء الترددات العشر الاولى وكلماتها مرتبة ترتيبا تنازليا . مع ملاحظة ان (ف) هو اختصار لكلمة فعل (بكسر فسكون) .

٢٢ : قال (ف) . ١٩ : حياة ، كان (ف) . ١٧ : شيء . ١٦ : فجر (بفتح الفاء) ، ليل . ١٤ : راى (ف) ، صدى، نفس . (بسكون الفاء) . ١١ : ارتوى (ف) ، قلب ناس . ١٠ : شرب (ف) ، طفل (بكسر الطاء) ، عاش (ف) ، قدم (بفتح القاف والدال) . ٩ : احد، الله ، مات (ف) ، مر (ف) . ٨ : اشباح ، شاب ، غد ، غريب ، يوم . ٧ : اول ، جسد ، دنيا ، رجاء ، صومعة ، عاد ، (ف) عبق ، كثير ، ماض ، واحة .

(٤) نقلتها « الاديب » عن « الصباح » الدمشقية في عدد ديسمبر ١٩٤٢ ، ص ٥٦ .

واشنطن — جورج ديمتري سليم

انفجار

لا .. لا تقولي عهدنا
لا .. لا تعيدي ذكر ماضي حبنا
انكرته .. فلتحملي وزر البعاد
وجحدته .. واليوم قد اضحى رماد
لا نور لا احلام تجمعنا
على الدرب الطويل
لا اغنيات حافلات بالهناء اندى الخميل
الامس مـات
وكفنته الاغنيات
ودفنته في الصدر
ذكرى للاماني الباسمات
فابكي عليـه
تنـدمي

*

انت التي حرمته اسباب النجاة
انت التي حطمته رغم الهناء
اسرفت في الهجران وانقطع الرجاء
فاذا بكيت اليوم حق لك البكاء
واذا شكـوت
فليس في قلبي رثاء
انـا قد نسيتـك
فابتغي غيري عزاء
قد باعدتنا الكبرياء
فاذا هتفت بعهدنا
وذكرت ماضي حبنـا
فلسوف تسخر منك افواج الطيور
الهاتفات بحبنا عند الغدير
ولسوف تنكرك الزهور
فلقد مضى العهد الذي
قد صنت فيه هوى طهور
او تذكرين
او لم نعش عمرا على العهد المكين
او لم احطك بشوق ايامي الدفين
واليوم .. قد كبر الصغير ..

*

فلا عذاب ولا عتاب
حطمت قيثاري وقد ضاع الشباب
واليوم يا حبي الذي ولى وغاب
لا تذكري الماضي فقد حم الغياب
ونسيت عهد غرامنا
وجحدت ذكر ودادنا
فاذا ذكرت اليوم ماضينا السعيد
وذهبت تحتجين بالحب البعيد
فلسوف اسخر منك بل من عهدنا
ان جئت يوما كي تثيري ذكر ماضي حبنا

عبد الله السيد شرف

مصر

الإشارات والخصيصة الإشارية

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

(الاشارات) انواع ، وهي اما طبيعية ، مثل القرائن ، والاعراض ، والمشهديات ، او اتفاقية ، مثل العلامات الاشارية المصطلح عليها ، وهي ما يسمى بـ (الرموز) ، بالمعنى العام لكلمة : رمز ..

ونحن نطلق تعبير (اشارة) على اية علامة ، او شيء يتحليان بخصيصة اشارية ، طبيعية او اتفاقية ، خفية او جلية ، مثل اشارات القرائن ، والاعراض ، او العلامات التي لانظمة الاتصال الاشاري ، ومنها النظام اللغوي ..

وقديما اطلقت الاشارة على (الايماء) ، والذي يترجم (بجيست) اي الحركة الدالة بأحد اعضاء البدن، اليد ، الراس ، العين الخ .. ويفهم من شروح (الجاحظ) للدوال على المعنى (١) وهي :

اللفظ ، والاشارة ، والعقد ، والخط ، ان (الاشارة) هي الايماءة باليد ، او الراس ، او الحاجب .. او ايضا لي الثوب على مقطع جبل تجاه عين الناظر .. الخ ..

ثم استعملها المفكرون ، والبلغاء ، بمعنى منبه يدل على المعاني الرهيفة .. كما في لغة الفارابي ، ثم ابن سينا ، او الجرجاني ، ثم السكاكي ، وغيرهم كثير ..

واليوم ، اذ تدعو الحاجة الى تحديد المصطلح ، يمكن الانطلاق من المعاني المعجمية (أشار) ، و(أشر) في (اشارة) و (مؤشر) ، ثم علم في (علامة) ، ورمز في (رمز) الخ ..

ونحن كي نظهر الفارق بين الطبيعي والاتفاقي من الاشارات ، قلنا نجعل (اشارة) تشمل كل انواع الاشارات الطبيعية والاتفاقية ، ثم نجعل (علامة) هي الاشارة المصطلح عليها ، او التي هي غير مسوغة طبيعيا واصطلح عليها ..

وهو ما سرنا عليه في شروحنا للاشارات ، ومنها (الرمز) .. وهو ما نسير عليه في الدراسات الدلالية ، ومقصدنا توضيح حقيقة (الخصيصة الاشارية) للاشكال والاشياء .. اهي شيء طبيعي ، ام شيء توضع عليه ، ثم ما تؤول اليه في التعبير الابلاغي كافة ..

بيرس

وقد عمل (بيرس) في اواخر القرن التاسع عشر على ايجاد نظرية عامة للاشارات ، تكون بمثابة علم كلي لها ، فقسم الاشارات الى عشرة اصناف ، تحت بعضها اصناف فرعية ..

كان بيرس ذريعيا من رواد الذريعية ، ومنهجيتها .. ان حقيقة الشيء في نظره هي الفكرة التي تقدمها عن هذا الشيء آثاره المحسوسة ، وتميزها بالتالي وفق دلالاتها العملية (٢) ..

الا انه كان ايضا رجل منطق ، وكان يؤثر (المنطق) على اي بحث ذريعي ، او دلالي ، او علامي .. ومن هنا عمله على ربط العلامية Sémiotics بالمنطق ، واعتبار المنطق مجال العلامية الصرف ..

ان بيرس في دراسته للاشارات يراعي عاملين هامين :

احدهما، هو : عامل الطابع الطبيعي، او الاصطلاحي للاشارة ..

والآخر ، هو : عامل التفسير لها ، اي فهمها من قبل المتعامل معها ..

واهم الاشارات ، في نظره، ثلاث : الرمز بالمعنى العام اي الاشارة المصطلح عليها ، والايقونة ، اي الصورة او الشكل المشهدي ، والقرينة ، وهي في نظره ما يلفت الانتباه ..

وفي نظره ان (الرمز) بالمعنى العام ، تعود خصيصته الاشارية الى المفسر ، ومعرفته المصطلح عليه ، قال (٣) :

ـ الرمز اشارة او علامة تفقد خصيصتها الاشارية اذا لم يوجد المفسر ، وتلك هي حال العلامات اللغوية ، والتي تدل على ما تدل عليه فقط ، من واقعة انها نسبت اليها هذه الدلالات التي لها .

ولذلك هو يقابل الرمز بالايقونة ، ثم بالقرينة :

(الايقونة) ، هي صورة مشهدية للاشياء ، هي نسخة عنها ، او مخطط هندسي لها ، وتظل لها خصيصتها الاشارية ، رغم ان موضوعها يمكن ان يكون غير موجود..

واما (القرينة) ، فهي في نظره كل ما يلفت انتباهنا ، او يستفزنا ، وهي تفقد خصيصتها الاشارية اذا لم يكن موضوعها موجودا .. ولكنها لا تفقدها اذا لم يوجد المفسر ..

مثل ذلك شكل الشجرة ، او الطائر في دلالتهما على الثروة النباتية ، او الحيوانية .. انهما ايقونتان ، اي صورتان مشهديتان لموضوعات يفهمها الناس ، رغم عدم وجود هذه الموضوعات ..

في حين ان (الدخان) في دلالته على النار ، او التعتعة في الكلام في دلالتها على السكر ، فانهما قرينتان

لموضوعيهما ، وهما دالتان سواء وجد المفسر ام لم يوجد.

وكذلك هي الحال بالنسبة للاعراض Symptômes المرضية ، او الحوادث التي تنبىء بحدوث شيء في المستقبل ، فهي قرائن ، وهكذا دواليك ..

دي سوسور

ونظرية الاشارة عند (دي سوسور) تقوم في الاساس على تحليل النظام اللغوي ، والعلامات اللغوية .. فقد تمثل دي سوسور (اللغة) نظاما اشاريا ، يتحكم بتمفصلات الكلام ..

ان (الكلام) هو مظهر الاستعمال الفردي للغة ، معجميتها وسننها ، مفرداتها وتراكيبها .. والاساس في ذلك هو الوحدة التمفصلية Articules ، والتي اعتبرها دي سوسور علامة لغوية ..

ان كل وحدة تمفصلية (٤) من هذه التمفصلات علامة لغوية ، وهي تتمايز عن غيرها صوتا ومعنى ، بفعل الفروق التي لها مع غيرها .. انها في نظره ثمرة تقاطع الاصوات مع المعاني ، وهو تقاطع يتحكم به النظام اللغوي ككل ...

ومن حيث ان هذه الوحدة التمفصلية لا تتطابق بالضرورة مع (الكلمة) .. اذ يمكن ان تكون حرفا ، او مقطعا ، فقد اعتبرها كعلامة ، هي وحدة صرفية ، نحوية، مورفيم .. ولكن ليس بالامكان عزل الصوت عن الفكرة فيهما ..

العلامة اللغوية عند (دي سوسور) اذن كيان ذو وجهين (٥) .. فهناك باستمرار عبر التمفصلات الكلامية مادة صوتية تتعلق بها مادة فكرية .. الا ان ذلك شيء اتفاقي ، وغير مسوغ ، ويتحكم به النظام اللغوي وحده .

وهذا معناه ان العلامة اللغوية صورة صوتية تدل على (تصور) .. وقد سمى دي سوسور الصورة الصوتية بـ (الدال) ، والتصور بـ (المدلول) Signifié ،

والدلالة هي اقتران الدال بالمدلول ، الصورة الصوتية بالتصور .

ان العلامة اللغوية عند دي سوسور : اتفاقية خطوطية ، فوارقية (٦) .

– اتفاقيتها ثمرة الاصطلاح ، اذ العلاقة بين الدال والمدلول فيها غير مسوغة ، وانما هي مجرد تواضع اجتماعي .

– وخطوطيتها ثمرة تسلسلها طولانيا في مساحة الزمان الواحد .. كل لحظة في هذا التسلسل لا تسمح بتغيير فعل صوتي واحد ..

– وفوارقيتها ثمرة التقابلات ، والتي لكل علامة لغوية مع غيرها في النظام اللغوي الواحد ..

العلامة اللغوية اذن (قيمة) ، اكثر منها دلالة معجمية (٧) .. والنظام اللغوي سلسلة من الفروق الصوتية تقترن مع سلسلة من الفروق الفكرية ..

الرمز

وقد استعمل (دي سوسور) الرمز بمعنى اشارة ، او علامة ، ثم نوه بأن في الاستعمال تساهلا ، لان الرمز يحوي على بذرة صلة طبيعية بين الدال والمدلول ، اما اقتران افكار ، او علاقة بين العالم المادي والعالم الاخلاقي ، او قوة ايحائية ، او صوفية (٨) الخ ..

وبالفعل راينا ان الوقائع في الطبيعة تتكلم ، كما ان الاحداث فيها تتكلم .. ولذلك يؤثر التسويغ الطبيعي للاشارة في استعمالاتها ، فتكون شارة ، او شعارا ، او رمزا لفكرة .. على ما بين هذه الاشارات من فروق ، واختلافات ..

واليوم للرمز معنيان : عام ، وخاص .

بالمعنى العام ، (الرمز) اشارة اصطلح عليها ، وقد تكون مسوغة ، او غير مسوغة ..

وبالمعنى الخاص ، هو اشارة هي شيء حسي يشير او يرمز الى شيء معنوي ..

ويعرف قاموس اوكسفورد (الرمز) العام بانه :

– شيء يمكنه ان يكون بديلا ، او تمثيلا ، او دالا على شيء آخر ، وذلك ليس بموجب مشابهة حرفية ودقيقة بينهما ، وانما بموجب ايحاء غائم وعام ، او علاقة عرضية او اصطلاحية كالاحرف ، والاشكال ، والاشارات المصطلح عليها (٩) .

ثم ان العادة جرت منذ (هيجل) حتى دي سوسور والى يومنا هذا ، ان نعتبر (الرمز) بالمعنى الخاص شيئا حسيا يشير الى ، او يرمز حالة معنوية ..

وهو مضمون تعريف قاموس اللغة الفرنسية ، والذي اقرته الجمعية الفلسفية الفرنسية ، وهو :

– الرمز شيء حسي معتبر كاشارة الى شيء معنوي لا يقع تحت الحواس ، وهذا الاعتبار قائم على وجود مشابهة بين الشيئين احست بها مخيلة الرمز (١٠).

ونحن نعرف الرمز بانه تثبيت للواقع ، مع ملاشاة مرموزه .. وهو تعريف ينطبق على المعنيين ، اي الرمز كاشارة هو علامة اصطلح عليها ، او الرمز كمشهدية ، هي صورة حسية ترمز بالحسي الى المعنوي (١١) ..

الظاهرة الاشارية

ان الاشارات موجودة في كل مكان حولنا في المجتمع ، وفي الطبيعة .. وان الانظمة الاشارية شيء ميشه ، نتفاهم ونتعامل بواسطته ، او على الاقل نرد عليه ، ونفتكره ..

و (الظاهرة الاشارية) شيء من الحياة ، والى الحياة .. وسواء هي طبيعية او اصطلاحية ، بسيطة او

معقدة ، فهي من الحياة ، واليها ، وتعاملنا معـها شيء حياتي ايضا ..

وكان دي‌سوسور يبشربعلم‌العلامات، السيميولوجيا والذي تمثله فرعا من (علم النفس الاجتماعي) ، وبالتالي علم النفس العام ، يدرس الاشارات ، وانظمتها في قلب الحياة الاجتماعية ..

وقد عمل بيرس على ايجاد نظرية عامة للاشارات ، فخدم ما اسماه بـ (العلامية) السيميوتيـك ، وهي في نظره تضم اقساما ثلاثـة : الذريعيـة ، والدلالية ، والتركيب ..

وقد اقتفى العديد من العلماء ، والمناطقة خطوات (بيرس) الرائدة في ذلـك ، ومنهم (١٢) : موريس ، وكارناب ، وسميث ، وبار هيليل ، وغيرهم ..

ان (موريس) هو الذي عمم هذا التقسيم الثلاثي للموضوع العلامي ، فأشاعه ، واتجه فيه اتجاها سلوكيا صريحا ..

في حين ان (كارناب) اصطنع فيه حساب القضايا، والمحمولات .. في اتجاه منطقي ، رياضي صريح ايضا ..

ناهيك بـ (العلامية الادبية) التي رافقت الدراسات البنيوية للادب ، وخدمها عديـدون ، منهم : بارك ، وجريماس ..

وينوه بيير غيرو في كتابه : ـ علم العلامات ـ ، بدراسة بارك لسيرازين ، بلزاك ، فيقول (١٣) :

ـ ان بارك يظهر كيف ان النص يولد العديد مـن قراءات يدعم وجودها مجموع سنن فيه متراص بعضها فوق بعض ، حيث يسمع صوت او صدى التجريـب ، والحقيقة ، والعلم ، والشخص ..

ثم يضيف : ـ ان موضوع النقد هو تحرير النص من قيوده ، وغلائله ، ليعيد له انسيابه الدلالي ، وذلك باعادة بناء سننه ، ودلالاته ، والتي هو يستند اليها ..

وسنتابع الشروح لذلك كله في اعداد مقبلة ، باذن الله ، فالى اللقاء .

(١) الدوال في نظر الجاحظ اربعة اقسام ، وهي لفظ ، وخط ، وعقد ، واشارة ، الحيوان ، جـ ١ ص ٣٣ . وهي تترتب تبعا لصلتها بالحواس : اللفظ للسمع ، والاشارة للبصر ، والعقد للبصر واللمس، ثم هي تترتب ايضا تبعا لما تملؤه من حيز زماني او مكاني ، اقصـاه مدى الصوت ، ومنتهى البصر بالنسبة الى اللفظ ، والصـوت ، والاشارة ، واما ما نزح من الحاجات فلا سبيل الى التفاهم فيه غير الكتابة . ـ نفس المرجع ، ص ٤٥ ـ ٤٧ .

(٢) تجد في قاموس الفلسفة ، باشراف انطوني فلوي ، لنـدن ١٩٧٤ ، تعريفا بفلسفة بيرس ، واجتهاداته في العلامية ، والمنطق ، ص ٢٤٩ .

(٣) هذه المقتطفات من مجموعة اعماله .. راجع كتاب عدنان بن ذريل : ـ اللغة والاسلوب ـ ، نشر اتحاد الكتاب العرب ، بدمشق ١٩٨٠ ، ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .

(٤) محاضرات علم اللغة العام ، لدي سوسور ، مع دراسـة نقدية لدي مورو ، باريز ١٩٧٦ ، ص ١٢٩ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٩٩ .

(٦) المصدر المذكور ، ص ٩٧ وما بعدها ..

(٧) نفس المصدر ، ص ١٥٥ وما بعدها ..

(٨) المصدر المذكور ، ص ١٠١ .

(٩) نقلا عن علم العلامات ، لمارتينيز ص ٧٠

(١٠) ونشرت المناقشات في مجلتها ، مارس ـ ابريل ١٩١٧ .

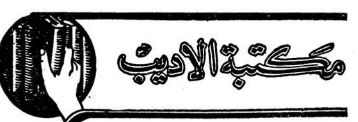
(١١) راجع كتابنا اللغة والاسلوب ، السابق الذكر ، ص ١٢٧ وما بعدهـا .

(١٢) تجد تفاصيل هذه الموضوعات في كتاب مبادىء علم الدلالة، لليونس ١٩٧٨ ، ص ٩٤ وما بعدها .

(١٣) علم العلامات ، لغيرو ، ١٩٧٧ ، ص ٩٥ .. وشكـرا والى لقاء ..

دمشق

عدنان بن ذريل



الحركة الشعرية في ضفة الاردن الشرقية

تأليف الدكتور عيسى الناعوري ـ منشورات وزارة الثقافة والشباب
مطابع دار الشعب في عمان ـ ٢١٠ صفحات ـ آب ١٩٨٠

صدر عن وزارة الثقافة والشباب في الاردن كتاب « الحركة الشعرية في ضفة الاردن الشرقية » للدكتور عيسى الناعوري ـ ٢١٠ صفحات من القطع الكبير ـ ويضم ثلاثين شاعرا ليس بينهم اية شاعرة، وقد وضع في الاصل بتكليف من دار « بغدله » اليوغسلافية التي ارادت نشر ستة كتب في الشعر العربي : الاول لشعراء المغرب العربي كافـة ، والثاني لمصر والسودان ، والثالث لسورية والعراق والاردن ، والرابع للمملكة العربية السعودية والخليج ، والخامس لشعراء فلسطين ، والسادس للشعر العربي القديم ، فالكتاب اذن هو حصة الاردن من تلك السلسلة ، ولم يشأ المؤلف ان يصدر هذا الكتاب باللغـة اليوغسلافية ، ولا يصدر مستقلا بلغته الاصلية ، وفي بلده العربي الاصلي .

تحدث الدكتور الناعوري في المقدمة التي احتلت احدى عشرة صفحة عن تاريخ تأسيس المملكة الاردنية الهاشمية سنة ١٩٢١ على يد الامير عبد الله بن الحسين الذي كان اول من رعى الحركـة الشعرية واحتضنها لانه كان اديبا وشاعرا ، وفي بلاطه نشأت الحركة الادبية في شرقي الاردن ، وكثيرا ما كان يتطارح الشعر ويتساجله مـع شعراء الاردن ، والشعراء الوافدين الى الاردن من الاقطار العربيـة كفؤاد الخطيب ـ شاعر الثورة العربية ـ وشبلي الملاط ومصطفى وهبي التل وعبد المنعم الرفاعي ، وعمر ابي ريشة ، ووديع البستاني ، وعبـد المحسن الكاظمي وغيرهم ... ومن هذه المجالس الادبية في رعايـة الامير ، انطلقت الحركة الادبية الشعرية في الاردن وراحت الصحافة اليومية والاسبوعية تنشرها وتوسع آفاقها ، وتردد اصداءها .

وعندما حدثت النكبة الفلسطينية عام ١٩٤٨ ، وتدفقت عـلى الاردن افواج اللاجئين الفلسطينيين ، احتضنهم الاردن وساوى بينهم وبين اهله في الحقوق والواجبات ، وتبنى قضيتهم ، وحفظ لهم الضفة الغربية حتى عام ١٩٦٧ ، وكان الاردن يتألف من الضفتين معا ، ومن شعراء هذه الفترة ـ اي قبل النكبة ـ الدكتور صبحي ابو غنيمة ، وحسني فريز ، وحسني زيد الكيلاني ، وشكري شعشاعة ، ومحمـد الشريقي ... وقد حمل هؤلاء الشعراء الرواد وغيرهم هموم القضيـة الفلسطينية ، فكانت هذه المأساة مصدرا غنيا للادب الاردني بشعره ونثره ، ويؤكد المؤلف ان النكبة الفلسطينية كانت اهم الاسباب في تحويل الادب والشعر في الاردن الى الواقعية ، وفي ظهور دعـوة الالتزام بشكل حاد ، لكي يظل الادب مجندا لخدمة القضية التي لم تعد قضية الفلسطينيين وحدهم ، بل قضية العرب اجمعين .

وبما ان جيلا جديدا من الادباء والشعراء قد نشأ في ظـروف المأساة الاليمة والتشرد ، وفي جو الثورات والانقلابات العسكريـة المتلاحقة في الوطن العربي ، فقد اصبحت السياسة هي التي توجه الادب وتقـود الشعر والحيـاة كلها في تيار عنيـف ، وحرفت الشعر عن طبيعته الفنية وسخرته للسياسة ، فعلا صوت الشعـر السياسي الذي يصب براكين حقـده ونقمته على الاحتلال .

والحقيقة التي يريد الدكتور الناعوري ان يقررها هي ان الادب الصحيح والنقـد السليم لا يعيشان الا في ظروف الاستقرار السياسي والاجتماعي ، وهو شيء لم يتوافر بعد في العالم العـربي ، ولن يتوافر قبـل ان تجد القضية الفلسطينية حلا عادلا يؤمـن للفلسطينيين الاستقرار على ارضهم ، وفي دولة خاصة بهم .

ولا يفوته ان يوجه في كتابه شيئا من النقد لبعض المجـلات الاردنية ، وللملاحق والصفحات الثقافية في الصحف لان اغلب مـا تنشره هو للاجيال الجديدة ، ومن الشعر المتحرر من الوزن والقافية في الغالب ، والمشحون بالغموض والرمزية والتعقيد .

ويرى ان الواقعية والرومانسية تغلبان على الشعر الاردني ، حيث تسود الاولى في الشعر العاطفي والوصفي ، وتسود الثانيـة في الشعر الوطني والسياسي والاجتماعي . وهناك ظاهرة الشعـر الشعبي العامي الذي انصرف الى التعلق بالارض والقرية والحيـاة الريفية والانسان الريفي ، ومن شعرائها احسان الفرخان ، ونايـف ابو عبيد ، وموسى الازرعي ، وقد لقيت مجموعاتهم الشعرية اصداء طيبة في الصحف والاذاعة ولدى القراء ، والملاحظ ان جميع هؤلاء الشعراء الشعبيين من ابناء منطقة واحدة هي الشمال الاردني ، ومن قرى متقاربة ، ولهم جميعا لهجة عامية واحدة .

اما الشعراء الذين تحدث عنهم ، واختار نماذج من اشعارهم فهم : الملك عبد الله بن الحسين ، مصطفى وهبي التل ، الدكتـور صبحي ابو غنيمة ، محمد الشريقي ، الشيخ نديم الملاح ، شكـري شعشاعة ، عبد المنعم الرفاعي ، حسني فريز ، عيسى الناعوري ، رفعت الصليبي ، حسني زيد الكيلاني ، محمود الروسان ، محمـد سليم الرشدان ، حسين خريس ، يوسف العظم ، سليمان المشيني ، اديب عباسي ، جميل دباب ، تيسير السبول ، ابراهيم العجلوني ، خالد الحادين ، علي الزعبي ، نايف ابو عبيد ، مهنا ابو غنيمة ، خالد الساكت ، مصطفى زيد الكيلاني ، هايل العجلوني ، حامد الزغول ، ادوارد عويس ، الشيخ رشيد زيد الكيلاني ، وكلهم من ضفة الاردن الشرقية ، وممن استوطنوا الاردن قبل المأساة من ابناء فلسطـين ، فاصبحوا من ابناء الضفة الشرقية انتماء ، وكذلك بعض من استوطنوا الاردن من العرب واصبحوا من اهله منذ عهد الامارة ، كمحمـد الشريقي ، وهو في الاصل من اللاذقية في سورية ، وقد لقي المؤلف عناء في الوصول الى بعض الشعراء ، لانهم لم يتركوا دواوين مطبوعة، واذا هو لم يتمكن من الاحاطة الكاملة بكل شعراء ضفة الاردن الشرقية فحسبه انه مهد الطريق لمن سيأتي بعده ويكمل النقص .

تقوم الخطة التي اتبعها المؤلف على سرد حياة الشاعر ، وتعداد آثاره المطبوعة ، وذكر بعض خصائص شعره بشكل خاطف وسريع ، فقد كانت غايته التاريخ قبل النقد ، ثم اثبات المختارات ليكتشـف القارىء بنفسه مميزات كل شاعر بمفرده ، ويكفي انه وضع مفاتيـح الحركة الشعرية في الاردن بيد القارىء اليوغسلافي ، الذي وضع الكتاب من اجله ، ثم اضاف للطبعة العربية بعض الشعراء ، ليكون وافيا وجامعا الى حد ما .

لقد دابت جميع دول العالم على اصدار مثل هذه الكتب التي تضم نخبة من الشعراء البارزين ، مع مختارات لهم ، لتعطي القارىء غير المتخصص فكرة عامة عن سير الحركة الشعرية او القصصية واشهر اعلامها ، ولكننا في الادب العربي نفتقد مثل هذه الكتب الوثائقية الجيدة ، بالرغم من الحاجة الماسة اليها لتعريف القارىء الاجنبي بادبنا واشهر اعلامه ، وحبذا لو اقتدت كل دولة عربية بهذا العمل ، فعمدت وزارات الثقافة ، او اتحادات الكتاب فيها الى تكليف من تثق بقدرتهم ليقوموا بمهمة الانتقاء واختيار النماذج الشعرية او القصصية الجيدة ، وطبعها في كتب مستقلة .

واذا كان لا بد من الاستشهاد ببعض ما اختاره الدكتور الناعوري من اشعار بدقة وذوق ، فان قصيدته « اخي الانسان » التي ترجمت الى عدد من اللغات كالايطالية والروسية والرومانية ، هي خير ما يتمثل به ، لانها نالت شهرة واسعة ، بما تضمنته من افكار سامية، وقيم انسانية رفيعة ، ومبادىء مثالية . يقول فيها :

اخي في العالم الواسـع ، في المغرب والمشرق
اخي الابيض والاسـود ، في جوهرك المطلق
امـد يـدي ، فصافحهـا ، تجد قلبي بها يخفق
بحبـك يا اخي الانسـان !!

★ ★ ★

احبـك دون ما نظر الى لونك او جنسـك
واكره من يبـث الحقـد في نفسي وفي نفسك
لترقص انـت في بؤسي ، وكي ارقص في بؤسـك
ونشقى ، يا اخي الانسان !

★ ★ ★

اخي ، ماساتنا ليست سوى من صنـع ايدينا
فمـن اطماعنـا العمياء سودنـا ليالينـا
ومن احقادنـا الصمـاء هدمنـا تآخينـا
فرفقـا يـا اخي الانسان !

★ ★ ★

لقد جئنا الى الدنيـا معا لنعيش اخوانـا
ونسعـد بالحيـاة معـا ، احبـاء واعوانـا
ولو شئنـا جعلنا جنـة الفردوس دنيانـا
فهيـا ، يا اخي الانسان !

★ ★ ★

دع الاطماع والاحقـاد ، لا تجعل لها شانـا
فلن تسعـد بالاطماع ، او تعلي بنيانـا
ولن تمنحـك الاحقـاد في دنيـاك سلطانـا
فدعها ، يا اخي الانسان !

دمشق — عيسى فتوح

★ ★ ★

من اجلها

ديوان لسلمان هادي الطعمة ـ ١١٠ صفحات ـ ساعدت نقابة المعلمين العراقية على طبعه ـ صدر في اخر ١٩٨٠

من اجلها .. ديوان شعر للشاعر العراقي سلمان هادي الطعمـة ، صدر في نهاية سنة ١٩٨٠ ، وقد ساعدت نقابة المعلمين العراقية على طبعه . يقع الديوان في ١١٠ صفحات من القياس الوسط ، ويضم بين ثناياه (٧٢) قصيدة ومقطوعة تشمل الموضوعات الاتية :

١ ـ في الغزل ٢٤ قصيدة ومقطوعة .
٢ ـ في الوصف ١٧ قصيدة .
٣ ـ في الوطنيات ١٠ قصائد .
٤ ـ في الرثاء ٩ قصائد .
٥ ـ في المديح والترحيب ٨ قصائد .
٦ ـ في الحنين الى ربوع الذكريات ٣ قصائد .
٧ ـ في الشعر التعليمي قصيدة واحدة فقط .

والديوان هو الثالث من اصدارات سلمان الشعرية والسادس عشر في سلسلة مؤلفاته منذ اكثر من ربع قرن .

من خلال عرضنا للاغراض الشعرية التي تطرق اليها شاعرنا في ديوانه هذا يتوضح لنا ان قصائد الغزل اخذت المساحة الاكبر من الديوان ، اذ ان نسبتها ٣٣ر٣٪ من مجموع القصائد وتلتها قصائد الوصف ، ونسبتها ٢٣ر٦٪ ثم الوطنيات فالرثيات فالمديح والترحيب فالحنين الى ربوع الذكريات وقصيدة واحدة في الشعر التعليمي .

اذن فالغزل والوصف كانتا الصفتين اللازمتين اللتين تميزان الديوان ، فشاعر كسلمان لا بد له ان ينوع في قصائد ديوانه ، اذ انه فضلا عما يمتلكه من حس مرهف كأي شاعر يمتلك الاصالة ، فانه كثير الاسفار ، وكمحصلة ، كثير الاصدقاء ، على امتداد الوطن العربي. وهذا هو السبب الاقوى في تنويع قصائد الديوان ، في الوقت نفسه تحدث عن ربوع ذكرياته في ذلك الوطن العزيز واصفا معالمه وابرز سماته العمرانية والحضارية . كما انه مدح ورحب باصدقائه الكثر المنتشرين هنا وهناك من وطننا العربي لدى ورودهم عليه ، ورثى اولئك الذين كان لهم فضل في جانب او اخر ، على نقاء اللغة العربية والحفاظ على صفاء اللفظ العربي من خلال اعمالهم الادبية والوطنية .

ولا بد له ، كشاعر ، ان يحب ، فوصف من يحب بقصائد راقصة ذات ايقاع موسيقي اخاذ .

ولو اردنا ان نستعرض قصائد الديوان ، بحثا وتحليلا ، لتطلب منا افراد صفحات تفوق صفحات الديوان نفسه ، ولكننا ، ونحن نعرف به ، سنشير الى ما تميزت به تلك القصائد ، حسبما بدا لنا، وباختصار على امل ان نوفق لدراسة الشاعر دراسة شاملة من خلال مؤلفاته مستقبلا .

ان ما تميز به الشاعر في قصائد (من اجلها) اهتمامه بالامور التالية :

١ ـ حبه للارض العربية : وتتجلى هذه الميزة من خلال قصائده الوصفية كقوله في قصيدة (لبنان) :

ايه « لبنان » يا رفيف الاماني ... كل مـا فيك ملهم الشعراء
انت لحن على الشفاه رقيق ... يلهب السحر والهوى في دمائي
ونسيم الصبا على سفح « صنين » ... نشيـد يمـوج بالاغـراء
والترانيم في « العرائش » تنسا ... ب لتروي عن ذكريات لقاء

وكقوله في قصيدة (سامراء) :

ام الحضارة يا منارا شع في ... اوج العلى والمجد عن بغداد
لا زال سفرك بالفخار مشيدا ... يطا الزمان معزز الاوتاد

٢ ـ كان يمزج بين الرثاء وحب الوطن وبين المديح وحب الوطن،
فمن الاول يقول في رثاء الشاعر الكربلائي عباس ابو الطوس :

ووهبت عمرك للاباء فلا ترى ... للضيم ظلا في بلاد الضاد
عباس يا لحنا يطوف مزمجرا ... في كل شبر من ربوع بلادي
ما هدك الظلم المريع ولا خبت ... لك جذوة من جائر جلاد

على اني آخذ عليه تكرر الضاد في البيت الاول والجيم في البيت الثالث مما اثقلا البيتين . وعن الثاني يقول وهو يحيي مؤتمر الادباء العرب الخامس المنعقد في عام ١٩٦٥ :

انتم بناة الفكر في هـذا الحمى   ومنابـع بسني الحجى تتفجـر
بكم المواطـن تستعين اذا طغى   خطب ولف الشرق غيم اكـدر

٣ ـ سجل في بعض اشعار الديوان موقفا ثابتا ، مما يدلل على عدم تارجحه ونبذه للوسطية كقوله :

وللشعـوب طريـق ما بـه وسط   اما الحيـاة واما العيش كالحجر

٤ ـ الى جانب اهتمامه بالمحتوى ، كان يعنى بالشكـل بنفس عنايته بالمحتوى . فكان كثيرا ما يعنى بالصورة كقوله :

عبـاس يا الفـا بداجيـة السرى   يا نفحة عبقت بحضـن الوادي

وكقوله :

قد اتخذت ركنا قصيـا لتحتسي   سلافا .. كطير يحضن الورد في وكر

كما كان يعنى بموسقة الكلمة كقوله :

وبغصن القد   ولثم الخـد   ونشر الند   اهدهده
حـب بالدل   وهجر الوصل   بجوف الليل   تبـرده

ليس ذلك حسب ، انما اختار لقصائده ـ وبخاصة الغزلية ـ القوافي الرشيقة الاوزان الراقصة كقوله :

يا صبـوة في خـاطري   يـا بـوح زهر عاطر
وثغـرك الحـلو اشتهاء   للقـــاء ... غـــابر
وشعـرك النــاعم يغشـــاه خيـــال الشاعـــر

٥ ـ وفي السياق العام كان ينشر الحكمة هنا وهناك في ثنايـا قصائده كقوله وهو يخاطب المرحوم مصطفى جواد :

ان الزمـان كما عهدت نوائـب   وصروفـه تؤذي النفـوس وتؤلم

ويخاطب الصديق بقوله :

وان رمت ان تحظى سموا ورفعة   فليس سوى مسعاك يمتلك الابا

٦ ـ كان يكثر من استعمال الطباق دون اغراض وتكلف كقوله :

احـلال تسبين عقلي ولبـي   وحـرام عـلى المحب الرضاب

فهو قد طابق بين الحلال والحرام مطابقة بديعية جميلة . ومثلها كثير في ثنايا الديوان .

٧ ـ وبفعل كتاباته النثرية الفولكلورية وتاثره بالبيئة الكربلائية قد نثر في بعض ابياته شيئا من الاعتقادات كقوله :

فهويـت نسرا شامخا ولطالمـا   تهوي النسور (بنظرة الحساد)
ويعيـش في جنباتـه مستعمـر   قـد لاح ما بـين المواطـن غولا
واعصر روحي و (حظي) سراب   ويضني فـؤادي اسى مثقـل

اذ ضمن البيت الاول الاعتقاد بالعين الحاسدة والثاني بوجود الغول والثالث الايمان بالحظ .

٨ ـ ان غزل سلمان ينقسم في الديوان الى قسمين :

الاول تقليدي ، كما في قصيدتي (ليل الصب) و (رشيق القد) اذ حاكى فيهما شعراء الاندلس في الشكل والمضمون .

الثاني حقيقي ، نابع عن معاناة وتجربة ، كما في سائر قصائده الغزلية . وفي الاخص قصيدته (ميعادي معها) الذي يقول فيها :

ما اجمل الوعـد الذي بيننـا   يقطـر بالطيـب وبالعنبـر
كم ضمنـا الليـل باعراسـه   اضمامة العقـد الى الجوهر
وكم سهرنـا وعشقنـا الرؤى   تحـت ظـلال الشجـر المثمر

وما دمنا في غزل سلمان الذي هو الصفة المميزة للديوان كما اسلفت ، نجد ان ثمة سؤالا يطرح نفسه وهو : هل ان سلمانا كان يحب حقا ؟ انني اعتقد ان قائل قصائد الديوان الغزلية كان يحب وبعنف ، ولكنه ظل بعيدا عمن يحب ، لا يملك حولا ولا قوة غير ذلك المنلوج الداخلي الذي ظهر في قصائده الغزلية على الاطلاق ، فهو من اول قصيدة يعلن عن هويته وتورطه بهذا الحب الخاسر ، ويظل يشكو ويتوجع من جراء التباعد الذي بينهما ويدعو ويتوسل ان تطل عليه ولو كفراشة وتمنحه ولو قبلة واحدة وتسمعه ولو كلمة مهموسة . ولكن شيئا من ذلك لم يتحقق . فلنسمعه يقول في أول قصيدة :

الاديب

٥

لا نقبل الاشتراك الا من سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٥٠ ليرة لبنانية

•

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٣٠٠ ل.ل.

•

في الخارج العربي : ١٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار :

٤٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية : ١٠٠ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج ٣٠٠ ل.ل. او ١٠٠ دولار كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء انشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

الادارة : ٢٢٣٨١٩   Dir. 223819

المنزل : ٢٢٥١٣٩   Dle. 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨ـ١١

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

ألبير أديب

بنفسي من قبلة حائره ... تضم شفاهك يا ساحره
عزفت لقلبك لحن الوفاء ... واحرقته في سعير الفداء
وقلبي يحن الى موعد ... لقانا به كلقا المبعد
فنكشف عن حبنا السرمدي ... واهنا بلقياك حتى الغد
الام التنائي وهذا الجفاء ... يثير بنفسي الاسى والبكاء

ويعتمل المنلوج في نفسه حتى اخر قصيدة في الديوان ، اي على امتداد فترة زمنية طولها ٢٣ عاما . اذ ان القصيدة الاولى تحمل تاريخ ٢٣ـ٢ـ١٩٥٤ بينما تحمل الاخيرة تاريخ ٤ـ٧ـ١٩٧٧ وهو يقول فيها :

كيف انساك والحنين بقلبي ... يتلظى ومهجتي ظمياء
كيف انساك تملكين فؤادي ... اذكريني ان غنت الورقاء
احمليني على ذراعيك طفلا ... دغدغته انامل ملساء
كم تقولين عن قريب لقانا ... وبه سوف تكشف الغماء

ولكن نداءه ظل يدور في شباك الامنيات لا غير .

ذلك هو سلمان الطعمة في شعره .وبقي ان نقول انه في الغزل اقوى منه في الوصف وفي الوصف اقوى منه في الرثاء وفي الرثاء اقوى منه في الترحيب والمديح وفي هذا اقوى منه في الوطنيات .

وفي المحصلة انه يقف في قصائده الغزلية الى صف شعراء الغزل القدماء والمعاصرين المشهورين .

وقد شممت في اغلب غزلياته رائحة عمر بن ابي ربيعة وابي نواس والقباني ، والاخير كان حضوره اكثر من زميله في اغلب قصائده من حيث الشكل والمضمون .

ارجو له التوفيق في اعماله الادبية اللاحقة ولديوانه الرواج وسعة الانتشار .

كربلاء ـ العراق ... علي كاظم الفتال

★ ★ ★

١ ـ العروس الشاردة

شعر : عبد الله السيد شرف ـ ٤٠ صفحة من القطع الصغير
منشورات « اصوات » ـ اكتوبر ١٩٨٠

ديوان صغير الحجم من الشعر المنطلق يقدم لنا شاعرا أصيلا ونشكر « اصوات » التي بدأت تعرفنا على شعراء جدد ، منهم هذا الشاعر الرقيق ، الذي يكاد ديوانه الصغير ان يكون سيمفونية حب مختلفة النغمات .

يقول في قصيدة « لا تغضبي » :

لا تغضبي
ان قلت قد نسيت فكذبي
ان الزمان معذبي
واخاف ان يعديك حظي فاهربي

ويقول في قصيدة « لا تصدق » :

حدثـوا
ان فؤادي لم يعد يذكر عهدك
لا تصدق يا حبيبي
لم ازل احفظ ودك
انت في قلبي نشيد
يا نعيمي
انت وحدك
رغم بعدي ، ان روحي
لم تزل يا حلو عندك
لا فؤادي عنك يسلو
لا ، ولن اعشق بعدك .

ويقول في قصيدة « وحبك منتهى عمري » :

اذا ما سرت عند النيل في اشراقة الفجر
واسمعك النسيم العذب انغاما من الطهر
وغنى الطير الحان الهوى العذري
فبـوحي
ليس غير الحب والاشواق في صدري
وقلبي ما يزال يحن رغم سحائب الغدر

وفي كل هذه القصائد نرى شاعرا رقيقا يغني الحب عندما يسر ، وعندما يتعذب ، وعندما يرق ، وعندما يقسو ..

وقد قدمت « اصوات » كما قال الشاعر حسين علي محمد على غلاف هذه المجموعة ، شاعرا طيبا ، نرجو له دوام التوفيق .

★

٢ ـ ثلاثة وجوه على حوائط المدينة

شعر : حسين علي محمد ـ ٣٦ صفحة من القطع الصغير ـ كتابات الغد ـ مايو ١٩٧٩ ـ القاهرة

هذا هو الديوان الثالث للشاعر حسين علي محمد ، ويضم تسع عشرة قصيدة نشرت فيما بين عامي ١٩٦٧ و ١٩٧٨ ، ويضم هذا الديوان بواكير الشاعر الشعرية ، وفيها قصيدته « رسالة من آنسة » التي نشرت عام ١٩٦٧ في مجلة « صوت الشرقية » وهي اولى قصائده التي كتبها في الشكل الحر ـ شعر التفعيلة ، ويبدو انه كان متأثرا بنزار قباني ، تقول ابيات القصيدة :

ماذا ؟ اتنكر حبنا
والليل يعرف همسنا
والناس .. كل الناس ..
عشقـوا مثلنا
ماذا اذن ؟
والفـل اينع عندنـا
والرب بارك عهدنـا
والان .. تنكر حبنـا
ماذا اذن ؟
همساتك السكرى ستهديها لمن ؟
للخـادم المسكين
اعرفـه انـا
ليقـول لي ..
مولاي سافر من زمن
فأموت حيرى يائسه
ستقول عني :
يا لها من آنسه
لكنني
اهواك يا من تنتظر موتي انا
ما زلت ارعى حبنـا
من يوم ان احببتني
والان ...
الان قد حطمتني

ولكن الشاعر في قصائده الاخيرة التي نشرتها « روز اليوسف » مثل « فاتنة الحفل » والتي نشرتها « الاديب » مثل « العاشـق

والوردة » والتي نشرتها « البيان » مثل « هذا ما حدث لي امام قبر امي » والتي نشرتها « الوطن » العمانية مثل « القنديل » نلاحـظ استكمال ادوات الشاعر ، بعد ان خط له اسلوبا معينا في الشعـر تمتزج فيه الدراما بالشعر باللغة البسيطة المؤثرة . يقول في مطلـع قصيدة « صفحات من كراسة الشيخ الذي كفر » :

في هذا الزمن الوغد
سافرنا من سنوات عشر
سافرنا . والعشاق كثيرون
والزاد قليـل
والسفر طويل

من منكم يخلع من عينيه طيور الرؤيا
يقذفها في ارض الاوهام

من منكم يغرس اشجار الاحلام
فالناس نيام ...

ولقد نشر الشاعر في هذا الديوان رباعية واحدة بعنوان « نهر البلادة » يقول فيها :

يا صديقا باع في الدنيـا رشاده   بقـروش الملاعـين الطغـاه
كيـف اجتـاز انا نهـر البـلاده   وصديقي البوم في الفجر نعاه

وانا اعرف ان للشاعر تجربة طويلة مع الرباعيات ، وانه كتب اكثر من مائة رباعية نشر جزءا كبيرا منها في (الثقافة الاسبوعيـة) الدمشقية عام ١٩٧٧ ، فعله يصدر هذه الرباعيات قريبا في احد اعداد « اصوات » .

بقي ان اشير الى شيء هام هو ولوع شاعرنا بكتابة القصائـد القصيرة المركزة ، التي يعتبرها د. علي عشري زايد مزية له مفتقـدة في غيره من ابناء جيله ، واقدم هنا في نهاية هذه الكلمة قصيدتـين قصيرتين نالتا اعجابي ، وقد نشرتا في صفحتين متتاليتين .

يقول في قصيدة « كلمة » (وهذا نصها الكامل المنشور في ص ١١):

نطقتها في اول الكلام
ارسلتها من صدري المقبوض في الزحام
وقلت : كوني دفترا للحب والاحلام
ومعجما للوجد والغرام
وما ظننـت انها
تكون سلما
للقهر والسكون والظلام
وما ظننت انها تكون غايتي
في آخر الايـام .

ويقول في قصيدة « عبر الاموات » (وهذا نصها الكامل المنشور في ص ١٢) :

في عنبر الاموات
كانت القصيدة الجديدة
على لسان الوردة الملقاة
تحت الشرفة الوحيدة .
وحينما تنفست باول الحروف
كان الليل في شراسة عنيدة
يجرجر الاصحـاب
والزنابق السوداء
ترقب المجهول في تعاسة بليدة .

ان حسين علي محمد شاعر له اسلوبه الخاص ، وهو واحد من طليعة الشعراء الشبان في مصر القادرين على صياغة القصيدة الجديدة في صدق وحنكة ومهارة ، ونرجو ان نقرا له باستمرار .

القاهرة   ماهر احمد علام